

مشروع النشر المشترك



توطئة لدراسة علم اللغة

التعاريف

تأليف

د. النهامي الراجبي الهاشمي



مشروع النشر المشترك

دار الشؤون الاجتماعية العامة (أفلق عربية) - بغداد

دار النشر المغربية



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية،

حقوق الطبع محفوظة
تعنون جميع المراسلات
لرئيس مجلس إدارة دار الشؤون الثقافية العامة

العنوان
العراق - بغداد اعظمية
ص.ب. ٤٠٣٢ - تليكس ٢١٤١٣ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

توطئة لدراسة علم اللغة التعاريف

تأليف

د. التهامي الراجي الهاشمي

استاذ علم اللغة بكلية الآداب - الرباط



11

بسم الله الرحمن الرحيم .

مقدمة الطبعة الاولى

أقدم للقارئ العربي هذا المؤلف الذي يفتح سلسلة من الدراسات اللغوية ، وهي سلسلة أقصد من ورائها سد الفراغ الخطير الذي يشتكي منه علم اللغة في عالمنا العربي .

ولقد حاولت أن أجمع في هذا العدد كل ما من شأنه أن يعرف القارئ باللغة ، موضوع الدرس .

ومن المعلوم أن علم اللغة بلغ بجميع فروع ، في هذه السنوات الأخيرة من الدقة والتشعب ، بفضل جهود أقطاب ميرزين فيه ، إلى درجة لم يبق معها يعد في عداد العلوم النظرية الصرفة ، بل أصبح علماً دقيقاً له قواعده الثابتة ونظرياته المتناهية في الضبط ، ومعادلاته السليمة التي تقربه من العلوم التجريبية وتبعده عن العلوم النظرية .

الا أننا — نحن العرب — لا بد ، لأسباب معروفة ، أن يكون لنا موقف خاص من هذا التقدم العجيب الذي أحرزه هذا العلم .

لا جدال في أننا نريد ، في أقرب وقت ممكن ، اللحاق بالعالم المتقدم في جميع الميادين ، وعلى الخصوص في ميدان علم اللغة .

لكن السؤال الذي يجب أن نضعه هو : كيف يمكن اللحاق بهذا العالم ؟ أي ، ما هي أحسن السبل وأيسرها وأهمها للتحاق بهذا العالم المتقدم ؟

سأحاول الجواب عن هذا السؤال ، وكأنه لا يتعلق إلا بعلم
اللغة .

وصل علم اللغة كما سبق أن قلنا الى أوجه ولم يصل ذروته هذه
إلا بعد أن اكتمل بنظريات دقيقة ، ومصطلحات معقدة ، وقواعد
جامعة ، وتيارات عديدة متباينة ، وقطام من الرموز متداخل .

فهل الحكمة أن نبدأ نحن العرب بما انتهى اليه الغرب في هذا
الميدان لنقول اننا التحقنا بالغرب ، واننا نسايره ؟

هل من الصواب أن تؤلف بادية ذي بدء في نحو الحالات الذي
لم يظهر في امريكة الا سنة ١٩٦٦ فقط بمقال Fillmore
Toward a Modern والحالة اننا لم نمر كما مروا من مراحل لغوية دقيقة
هيات نحو الحالات هذا ؟ الحكمة أن ننشر دراسات حول النحو
التوليدي التطبيقي الذي رأى النور أول ما رآه في الاتحاد السوفياتي
بفضل جهود العالم اللغوي S. K. Saumjian حوالي ١٩٦٢ ، ونحن
بعد مفتقرون الى المؤلفات التي عنها تمخض هذا التيار ؟

أم هل من الصواب أن نصنف في النحو التوليدي الذي لم يظهر
في امريكة الا سنة ١٩٥٧ مع نشر كتاب Syntactic Structures
Chomsky بعد أن هيات ظهوره تيارات لغوية أخرى
لا زال ميدان التأليف العربي لا يعرف عنها الا النزر القليل الذي
لا يفيد ؟

أعتقد أنه من الحكمة أن نبدأ من النقطة التي منها انطلقوا
النرسي هذا العلم الذي نريده عصريا متطورا على أسسه الطبيعية
السليمة .

لا شك أن النقطة التي بدأوا منها هي قواعد دير Port Royal التي وضعها سنة ١٦٦٠ الراهبان Lancelot & Arnola والتي تعرف بـ « القواعد اللغوية العامة والمعللة تعليلا عقليا » .

لا يخامرني شك في أننا ان بدأنا من هنا ثم تدرجنا مع التيارات والمذاهب التي تلاحت ، دون انقطاع ، ما بين ١٦٦٠ و ١٩٧٧ ، نفهمها حق الفهم أولا ، ثم نعرب مصطلحاتها بعد ذلك ، مطبقين ما يمكن تطبيقه منها على لغتنا ، وذلك بوضع الامثلة الملائمة لكل قاعدة ، أصبحنا قادرين على مسايرة كل ما يجد في علم اللغة بجميع فروعه . ونحن ، مع ذلك مطالبون ، وقت قيامنا بكل هذا ، بوضع لغة واصفة منسجمة ، نستعملها في محاضراتنا وندواتنا ومؤلفاتنا .

من أجل ذلك كان لزاماً عليّ ، وأنا واحد من هذه الجماعة المسؤولة عن علم اللغة في البلاد ، أن أبدأ من البدء ، فأقدم للقارئ العربي توطئة تساعد على معرفة اللغة وتهيئه لتتبع الخطوات اللاحقة يسر وبمردود كبير .

ومع ذلك فسيري بعض الناس في عملي هذا ما يبرر نقده ، وقد يقدمون على ذلك متسرعين أو متمهلين . وسواء كان النقد نزيها أو مغرضا فسيكون مفيدا لي ولا شك . أستفيد من النقد النزيه العلم والخبرة وأستفيد من النقد المغرض المعرفة بالناس .

وسيكون منهم على صواب كل من رأى أن ما أقدمه للناس في هذا الجزء ليس من علم اللغة الحديث وليس من علم اللغة القديم وانما هو خليط من ذا وذاك .

ذلك بالضبط ما أردت ، اننا نعرف مشكلتنا في هذا الفن انها ليست شبيهة بمشكلة الفرنسي ، ولا بمشكلة الانجليزي ولا بمشكلة الاسباني ولا بمشكلة الروسي .

ان لنا - نحن العرب - في هذا الباب علماً للغة قديماً ، بل
ركاماً من هذا العلم . فهل من الصواب أن نقرّط في هذا الكنز
بدعوى ان جَدّد جديد في الموضوع ؟ أفلا يكون من الرصانة أن
نحاول ربط الماضي بالحاضر ، لا سيما وأن هذا الماضي مشرق وضاء ؟

على عاتقنا نحن أساتذة علم اللغة تقع مسؤولية تعريف الاجيال
الصاعدة بالنشاط الفيلولوجي لاجدادنا ، علينا أن نبين لهم المواطن
التي تفوقوا فيها والتيارات التي انفجروا معها والمذاهب التي تخطتوا
فيها ، ثم علينا بعد ذلك أن نقودهم لهذا الجديد ندرسه دراسة
متأنية ، متينة مطبقينه على لغتنا .

نحن لا نرى كيف يمكن أن نتطرق من هذا الحديث ندرسه
وتدارسه ونستفيد منه ونحن بترائنا في هذا الباب جاهلون .
انا لنؤمن ايماناً لا يتزعزع بأن التجديد قتل القديم بحثاً .

لهذا كان إلزاماً علينا أن نربط الحديث بالقديم ، ولنحقق ذلك
أكثرنا من التعليق وبالغنا في الاستطرادات .

وعلى كل فهذه لبنة من اللبنة الاولى في ذلك البناء الذي
نسميه اللسانيات والذي بدأنا في عالمنا العربي نسعى الى الشروع في
اقامته ، أقدمها للقارئ الكريم .

الدار البيضاء ٩ كانون الاول ١٩٧٦

المؤلف

مقدمة الطبعة الثانية

تقد هذا الجزء من سلسلة الدراسات اللغوية من زمان ، فطلبت مني ، منذ مدة ، دار النشر المغربية تسليمها نسخة مصححة منه لاعادة طبعه ، لكن شغلتني عن ذلك مشاغل . والآن وقد أنهيت تصحيحه وأضفت اليه ما كان لزاما أن يضاف أقدمه للقارئ العربي راجيا أن يقع الاقبال على هذه الطبعة كما وقع من ذي قبل على أختها .

ان الفرحة لتفمرني حين أسمع أن أساتذة اللسانيات مقتدرين يعرضون محتواه على طلبتهم بعد أن تلقوه هم مني يوم كانوا طلابا وقبل أن يظهر الى الوجود .

بهذه المناسبة أحييهم بجدارة وأهنئهم ، كما أشكر كل الذين كتبوا عنه محللين لمحتواه ومعرفين به .

الرباط اول كانون الثاني ١٩٨٤

الفصل الاول

في العصور الجاهلية والعصور الاسلامية المتقدمة

١٠١ . لفظة « لغة » و « لسان » :

لم تكن كلمة « لغة » تعني قديما ما تدل عليه الآن . لقد كانوا يعبرون عما توحى به عندنا في «عبرة»^(١) حديثه بكلمة أخرى هي «لسان» . « تلك الكلمة المشتركة اللفظ والمعنى في معظم اللغات السامية ، شقيقات اللغة العربية »^(٢) .

والقرآن نفسه لم يستعمل هذه اللفظة قط بالمعنى المعروف المتداول عندنا الآن ، وإن كان قد استعمل مادة « ل . غ . و . » تارة بمعنى « الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته »^(٣) كما تشهد بذلك الآية : « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون »^(٤) . والمعنى « لا تسمعوا له إذا قرئ وعارضوه بكلام لا يفهم »^(٥) ، وتارة بمعنى « القول الباطل » شاهد على ذلك قوله تعالى : « والذين هم عن اللغو معرضون »^(٦) . وقوله « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين »^(٧) .

أما الرسول صلوات الله وسلامه عليه فقد استعملها في معنى : « ما لا يحتاج إليه من الكلام » يشهد على ذلك قوله : « إذا قلت

١ - استعمل لفظة « عبارة » بواعني بها من الآن فصاعدا Statement, Enoncé
انظر الحواشي ٤٣ و ١٠٧ .

- ٢ - في اللهجات العربية الدكتور ابراهيم أنيس ، صفحة ١٧ .
- ٣ - الكشف للزمخشري ، الجزء الرابع ، صفحة ١٥٥
- ٤ - الآية ٢٦ من السورة الواحدة والاربعين ، فصلت
- ٥ - الجامع لاحكام القرآن ، لأبي عبدالله القرطبي ، الجزء الخامس عشر
- ٦ - آية ٣ من السورة ٢٣ ، المؤمنون
- ٧ - الآية ٥٥ ، من السورة الثامنة والعشرين : القصص .

لصاحبك انصت ، والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت » . أما
رواية من سمع هذا الحديث عن الرسول وثقله للناس فهي «لغيت» .
فعلنا من العبارتين ، عبارة راوي الحديث ، وهو أبو هريرة
وعبارة الرواية العامة ان الكلمة « لغة » من مادة ثلاثية ثالث حروفها
واو ، أو من مادة ثلاثية آخر حرف فيها ياء .

واستعملت في الشعر الجاهلي بهذا المعنى نفسه أيضا . أي
بمعنى « ما لا خير فيه من الكلام » . قال عبدالله بن ربيعة السعدي
التميمي (٨) :

ورب أسراب حجيح كظم
عن اللغا ورفث التكلم

واستعملها بعد هذا بزمان ، وبنفس المعنى المشار اليه أعلاه
كتاب وشعراء آخرون ، منهم ، علي سبيل المثال ، الفرزدق (٩)
الذي قال :

ولست بماخوذ بلغوي تقوله ★ اذا لم تعد عاقدات العزائم

٨ - هو أبو العشاء العجاج ، راجز مجيد ، قال الشعر في الجاهلية . ولما
بعث الله نبيه أسلم ، وهو والد رؤبة الراجز المشهور . عاش الى
أيام الوليد ابن عبد الملك وتوفي حوالي ٩٠ هجرية ، الموافق ٧٠٨
ميلادية .

٩ - هو أبو الحسن همام بن غالب بن صعصعة التميمي الشهير بالفرزدق ،
له الاثر العظيم في اللغة العربية ، وهو صاحب الاخبار المشهورة مع
جرير والاخلط . ومهاجاته لها أشهر من أن تذكر . كان شريفا
في قومه ، عزيز الجانب . يظهر دوره الخطير في ميدان اللسانيات في
هذا القول المأثور : « لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ،
ولولا شعره لذهب نصف اخبار الناس » . توفي سنة ١١٠ هجرية
(٧٢٨ ميلادية) .

٢٠١٠ نصوص لغوية شاهدة على ذلك

كانوا في هذه العصور المشار اليها يطلقون عما نعبر عنه فحسن
الآن بـ «اللغة» كلمة «اللسان» أو «لسن» .

قال الجوهري^(١٠) : « اللسن بكسر اللام : اللغة . يقال لكل
قوم لسن ، أي لغة يتكلمون بها^(١١) » . مميّزا بين الصيغتين :
« اللسن » بكسر فسكون وهي التي عنده بمعنى « اللغة » . ولا
تشاركها ، في نظره ، أية صيغة أخرى في ذلك ، وبين « اللسان »
بكسر ففتح ممدود ، وهي عنده : « جارحة الكلام ، وقد يُكنى بها
عن الكلمة ، فتوث حينئذ^(١٢) » .

١٠ - اسماعيل بن حماد الجوهري ، أبو نصر . أصله من فارب ، قصد
العراق صغيرا ، زار كلا من الحجاز التي تقلب طويلا في باديتها
وخراسان ونيسابور . وكان الجوهري أول من حاول « الطيران »
ومات في سبيله . لقد صنع جناحين من خشب وربطهما بحبل
وصعد سطح داره ثم نادى في الناس : « لقد صنعت ما لم أسبق
إليه وسأطير الساعة » . وبعد أن اجتمع لمشاهدته جرب جناحيه
الخشبيين فخانه اختراعه فسقط إلى الأرض قتيلًا ، مات عام ٣٩٣
هجريّة ، موافق ١٠٠٣ ميلادية (انظر ترجمته في الاعلام للزركلي
الجزء الاول) . صفحة ٣٠٩ وفي المراجع التي يعطيها هناك . ترك
لنا عملا لغويا عظيما هو « الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية »
طبع بالقاهرة عام ١٣٧٥ هجريّة موافق ١٩٥٦ ميلادية على نفقة
السيد حسن الشربتلي وبمقدمة في جزء منفصل عن الاجزاء الستة
الآخري لعباس محمود العقاد ، وهي أجود طبعة معروفة للصحاح .
وله ، في نشاطه اللغوي أيضا تأليفان آخران هما « العروض »
و « مقدمة في النحو » .

١١ - الصحاح ، الجزء السادس ، صفحة ١٢٩٥ ، العمود الثاني ،
السطر ١٦ .

١٢ - نفس المصدر ، صفحة ٢١٩٥ ، العمود الاول : السطر ١٧ .

تبني هذا التفسير اللغوي الاندلسي ابن سيده^(١٣) في النصف الاول من القرن الخامس الهجري ، لكن بتحويل قليل . لقد شرح الصيغة «اللسان» لا ، ب « كلمة » كما فعل قبله الجوهري ، وانما ب « لغة » . قال : « اللسان » مؤنث لا غير^(١٤) . وهو تطور مهم لحق مدلول كلمة « لسان » في ظرف قصير لا يزيد على ٦٥ سنة

١٢ - علي بن اسماعيل من أكبر علماء اللغة بالاندلس . قال ابن سعيد المغربي عنه : « لا يعلم بالاندلس أشد اعتناء من هذا الرجل باللغة ، ولا أعظم تواليف تفخر مرسية له أعظم فخر ، طرزت به برد الدهر ، وهو عندي فوق أن يوصف بحافظ أو عالم . » (المغرب في حلي المغرب ، الجزء ٢ ، صفحة ٢٥٩) ولد عام ٣٩٨ هـ ١٠٠٨ م وتوفي سنة ٤٥٨ هـ ١٠٦٦ م . ترك لنا في ميدان علوم اللغة الذي يهمننا كتاب المخصص الذي طبع لأول مرة بمصر بالمطبعة الاميرية في ١٧ جزءا عام ١٢١٦ الموافق ١٨٩٩ ميلادية وانتهى من طبعه عام ١٣٢١ هجرية الموافق ١٩٦٤ ميلادية . ينقسم المخصص الى كتب ، كانت نية ابن سيده أن يبحث كل كتاب منها في موضوع محدد . وينقسم كل كتاب الى أبواب تتباين طولاً وتعقد كل باب للحديث عن فكرة تعبر عنها مفردات . يحتوي هذا الكتاب زيادة على ظاهرة التفاسير المتعلقة باللفظة الواحدة على تحقیقات لغوية وتفسيرات مورفولوجية لا يستغني عنها أي دارس للغة العصرية . كما ترك لنا كتاب المحكم الذي ظهرت منه بعض الاجزاء وهو معجم مرتب وفق المخارج ع . ح . ه . ق . ك . ج . ش . ض . ص . س . ز . ط . ظ . ذ . ث . ن . ف . م . و . الف . ولقد اتبع نظام العين فبدأ في كل حرف بالثنائي المضاعف الصحيح ثم الثلاثي الصحيح فالثنائي المضاعف المعتل الخ .

كان ابن سيده ضريرا مثل أبيه : نظم الشعر مدة . وانقطع للامير مجاهد العامري في « شرح ما شكل من شعر المتنبي » وكذا اکتاب في كشرح حماسة أبي تمام سماه « الأنيق » وهو في ست مجلدات .

١٤ - « المخصص » السفر الاول ، صفحة ١٥٤ ، السطر ١٨ .

الفاصلة بين العالمين اللغويين الجوهري وابن سيده^(١٥) ()
(٠٤٠١٠٢)

لقد كان الجوهري ، وهو يشرحها بما شرحها به يعتمد على
قرائن يستمدّها من التراث الذي سبقه . فأعشى باهلة^(١٦) ، مثلاً لم
يستعمل كلمة « لسان » بمعنى لغة ، وإنما استعملها ، في شعره وهو
يقصد بها « الكلمة » ، « اللفظة » ، « المفردة » . قال :

انى أتتني لسان لا أسرّ بها من علو لا عجب منها ولا سخر

٠٣٠١٠١ وشواهد من القرآن

ووردت لفظة « لسان » بكسر ففتح^(١٧) في قوله تعالى : « وما
أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ، فيضل الله من يشاء
ويهدي من يشاء ، وهو العزيز الحكيم »^(١٨) .

ومعنى (بلسان قومه) بلغة قومه^(١٩) . وهو تأويل أكده ابن

١٥ - مات الجوهري سنة ٣٩٣ ومات ابن سيده سنة ٤٥٨ .

١٦ - عامر بن الحارث بن رباح الباهلي من همدان من شعراء الجاهلية
وكان يعرف بأبي قحطان . مات أبوه « المنتشر بن وهب » فرثاه
بأجود ما قال فكانت القصيدة الرائية الجميلة (انظرها برمتها في
خزانة البغدادى الجزء الاول ، صفحة ٢٤ و ٢٥) .

١٧ - اعتمادا على قراءة الجمهور ، وهي هنا القراءة التي قرأ بها البدور
السبعة جميعهم .

١٨ - الآية ٤ من السورة ١٤ « ابراهيم »

١٩ - الكشف عن حقائق غوائص التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه
التاويل للامام محمود بن عمر الزمخشري . الجزء الثاني ، صفحة
٢٠ ، السطر الخامس ، وانظر ايضا « البحر المحيط » الجزء
الخامس الصفحة ٤٠٥ ، السطر ٩

عطية (٢٠) في كتابه « المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز » (٢١)
حين قال : « اللسان في هذه الآية يراد به اللغة » (٢٢) .

٢٠ - هو عبدالحق بن غالب بن عطية المحاربي : نسبه الى محارب
قيس ، فقيه اندلسي ، مفسر من أهل غرناطة ، وكان يقول الشعر
أيضا . ولي مدة قضاء المريه . له « المحرر الوجيز في تفسير كتاب
الله العزيز » وسنتحدث عنه في حاشية أخرى . و « برنامج » في
ذكر مروياته وأسماء شيوخه . ولد عام ٤٨١ هجرية موافق ١٠٨٨ م
وتوفي بلورقة عام ٥٤٦ هجرية وقيل قبل ذلك بخمس سنوات أي
في عام ٥٤١ هجرية موافق ١١٤٨ م توجد ترجمة له في القلائد
ابتداء من صفحة ٢٣٩ الى ٢٤٧ كما توجد في البيعة للسيوطي .
صفحة ٤٩ وفي كتاب الصلة لابن بشكوال صفحة ٨٢٥ وفي غيرها
من كتب التراجم .

٢١ - « المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز » هو كتاب في التفسير
عظيم ألفه ابن اعطية المشار اليه في الحاشية رقم ٢٠ . توجد نسخه
منه رانعة الجمال في الخزانة العامة بتطوان تحت الرقم ٦٢٩ .
٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٣ . كما توجد في خزانة الجامع الكبير بمكناس
نسخة خطية نفيسة من الجزء الثالث من هذا التفسير تحت رقم
١٢٠ ، وهي نسخة غاية في الاهمية نظرا لانها تحمل وثيقة التحبيس
التي كتبها المحبس نفسه : السلطان أحمد المنصور الذهبي . إلا أن
هذا التحبيس وقع لجامعة القرويين . وتسرب هذه النسخة وحدها
دون الاجزاء الاخرى الى خزانة الجامع الكبير بمكناس من الغرابنة
بمكان .

كما وجد جزء من هذا التفسير مبتور الاول والآخر وبورقتين
داخله في الخزانة العامة للكتب والوثائق بالمغرب تحت رقم (٥٢٠)
وجزاء آخر موضوع بالخزانة نفسها تحت رقم (١٥٩١ د) ونسخه
تامة من هذا التفسير في نفس هذه الخزانة ، لكن في مرفق الاوقاف
تحت رقم (١٨٦ ق) وهي خمسة اجزاء . وتوجد نسخة من تفسير
ابن عطية في Biblioteca Innational de Madrid تحت رقم
٤٨٧٤ .

٢٢ - انظر تفسير ذلك في سورة ابراهيم في النسخة الخطية المحفوظة
بمدرسة تحت رقم ٤٨٧٤ .

إذا رجعنا الى الامهات في القراءات القرآنية لاحظنا أنهم كانوا يعبرون عن لفظة « اللغة » بصيغ أخرى من مادة « لسان » هذه ، وهي صيغ قرىء بها في هذه الآية التي نتحدث عنها مما يؤيد أن هذه المفردة كانت شائعة بهذا المعنى في الجزيرة العربية بمختلف قبائلها .

نعرف مثلاً أن أبا السَّمَّال (٢٣) وأبا الجوزاء (٢٤) وأبا عمران الجوني (٢٥) قرأوها « لِسَن » بكسر فسكون ، وهي صيغة موافقة

٢٢ - هو قنبل بن أبي العدوي البصري ، المعروف بأبي السمال (بفتح السين وتشديد الميم بعدها لام) قارئ شذ عن الجماعة ، وإن كان صادف الصواب في كثير من شذوذه . واعتبر أن هذا الشذوذ مفيد للغاية في ميدان اللسانيات لأنه يطلعنا على كثير من الخلافات اللهجية التي سادت الجزيرة العربية قبل أن توجد لغة واحدة ، أو على أدق تعبير قبل أن نصير ، بأوجهها المتعددة لغة تدعي أنها « فصيحة » و « منسجمة » .

توجد ترجمة ابن السمال في « غاية النهاية » لابن الجزري ، في الجزء الثاني ، صفحة ٢٧ ، هذا ولقد كنت جمعت كل قراءاته الشاذة في مقالي المنشور بمجلة دعوة الحق : العدد السابع من السنة السادسة عشرة ، رجب ١٣٩٤ ، موافق غشت ١٩٧٤ ، صفحة ٦٦ ، الحاشية ١٠ وكنت قلت فيه : « إن جميع القراءات الشاذة لأبي السمال في مكان واحد يعد مكسباً عظيماً في ميدان دراسة اللهجات العربية القديمة . ولا يخامرني شك في أن دراستها دراسة فقهية دقيقة ستطلعنا على كثير من أسرار اللهجات العربية التي لا زالت ، بكل أسف تحمل في طياتها أسراراً » .

٢٤ - هو أوس بن عبدالله الربيعي ، أبو الجوزاء البصري ، روى عن عائشة وأبي هريرة وابن عباس ، توفي عام ٨٣ هجرية : انظر ترجمته في « التهذيب » ، صفحة ٣٥ .

٢٥ - هو عبدالملك بن حبيب تابعي يروي عن جندب بن عبدالله وأنس بن مالك وغيرهما . والجوني التي ينسب إليها أبو عمران اتت من الجون وهو بطن من الازد . تقرأ (بفتح فسكون) . انظر « الباب في تهذيب الانساب » لعزالدين بن الاثير الجزري ، الجزء الاول ، صفحة ٣١٢ ، السطر الثامن عشر .

لما رأيناه عند الجوهري وابن سيده (٢٦) .

ونعلم أيضاً أن أبا الرجاء (٢٧) وأبا المتوكل (٢٨) والجحدري (٢٩)

قرأوها « لُسُن » بضم اللام والسين ، وهو جمع « لسان » ، وهي قراءة لم تأت بأي جديد بالنظر الى الصيغة .

٢٠١٠١ . تحليل علمي حديث لهذه اللفظة من عالم لغوي قديم

عندما قلنا ان ابن سيده تبنى ما ذهب اليه الجوهري في لفظة « لسان » (أنظر ٢٠١٠١) قصدنا بذلك ان العالم اللغوي الاندلسي استفاد مما كان سائدا في العصر الذهبي للنشاط الفيلولوجي عند علماء اللغة الفطاحل من أمثال الجوهري الذي جعلته ، بشكل تحكسي فقط ، مثل هذه الحقبة الزاهرة التي بلغ العمل اللغوي عند العرب فيها أوجه . ذلك أنه ليست لنا أية حجة ، من أي نوع كانت يمكن أن نعتد عليها لنزعم أن ابن سيده لم يأخذ عن معاصر الجوهري أبي الفتح عثمان بن جني الذي تطرق لللفظة يدرسها وكأنه عالم معاصر استفاد من دروس F. de Saussure ومن أتى بعده . قال ابن جني : « قرأ أبو السمّال (بلسن قومه) » .

٢٦ - أنظر (٢٠١٠١) . ق

٢٧ - هو عمران بن تميم البصري ، التابعي الكبير ، أبو رجاء العطاردي ، كان مخضرمًا وأسلم في حياة النبي ولم يره . عرض القرآن على ابن عباس وكان تلقنه عن أبي موسى . ولد قبل الهجرة بأحدى عشر سنة وتوفي عام ١٠٥ هجرية . توجد ترجمة له في الجزء الاول من غاية النهاية في طبقات القراء صفحة ٦٠٤ وفي الجزء الاول من التذكرة ، صفحة ٦٢ .

٢٨ - لم استطع أن أميزه من بين المتوكلين العديدين الذين أعرفهم .

٢٩ - هو عاصم بن أبي الصباح العجاج الجحدري البصري : مات عام

١٢٨ هجرية . أنظر ترجمته في طبقات القراء لابن الجزري ، الجزء

الاول ، ص ٣٤٩ .

قال أبو الفتح : حكى أن بعض أصحابنا قال : دخلت على أبي السّمّال وهو ينتف شعر أسبه وهو يقرأ : « وما أرسلنا من رسول الا بلسن قومه » ، فاللسن واللسان ، كالريش والرياش : فعل وفعال بمعنى واحد . هذا اذا أردت باللسان اللغة والكلام . فان أردت به العضو فلا يقال فيه : لسن ، انما ذلك في القول لا العضو . وكأنّ الاصل فيهما للعضو ، ثم سموا القول لسانا ، لانه باللسان ، كما يسمى الشيء باسم الشيء لملا بستة اياه ، كالرواية^(٣٠) والظئينة^(٣١) ونحوها^(٣٢) .

٠٦٠١٠١ عود الى الشاهد القرآني

وهناك قراءة أخرى لا نعرف بالضبط من قرأ بها لانتا لم نر أحدا عزاها ، وهذه القراءة هي « لُسُن » بضم فسكون^(٣٣) . وهذه الصيغة ليست عندي الا جمعا لكلمة لسان « لسان » . ذلك انه سبق أن ينت أن « فَعُل » (بضم فسكون) هو جمع عند بني تميم لكل لفظة يقول فيها أهل الحجاز « فَعُل »^(٣٤) (بضمّتين) . كجمع

٣٠ - الرواية : الدابة يستقى عليها ، وتسمى بها المزايدة فيها الماء (حاشية محققي المحتسب) .

٣١ - الظئينة : الهودج ، وتسمى بها المرأة ما دامت في الهودج (حاشية محققي المحتسب) .

٣٢ - المحتسب في تبين وجوه شواذ الاقراءات والايضاح عنها لابني الفتح عثمان ابن جني الجزء الاول ، صفحة ٣٥٩ ، السطر الثالث .

٣٣ - انظر « البحر المحيط » الجزء الخامس ، صفحة ٤٠٥ ، السطر الثالث عشر .

٣٤ - انظر تفصيل ذلك في بحثي « القراءات القرآنية واللهجات العربية » المنشور في مجلة « دعوة الحق » : العدد العاشر ، السنة الرابعة عشرة ، ذو الحجة ١٣٩١ (موافق يناير ١٩٧٢) صفحة ٣٨ . العود الاول ، السطر الثاني عشر .

« حمار » مثلاً : تقول تميم فيه « حُسْر » ويقول أهل الحجاز
« حُسْر »^(٢٥) وجميع « فراش » يقول فيه هؤلاء وأولئك « قُرْش »
و « قُرْش »^(٢٦) .

٢٠١ لفظة « لغة » و « لهجة »

لرب سائل يسأل : « فإذا كانوا لا يستعملون لفظة « لغة »
فلمنى المتداول عندنا الآن ، فلأية فكرة خصصوها اذن » ؟
لقد كانت لفظة « لغة » تعني عندهم « لهجة » . كذا استعملها
امام النحاة سيويه^(٢٧) في كتابه . قال في الباب الذي سماه : « هذا

٢٥ - عدت لهذه الظاهرة فبينتها أكثر حين الحديث عن اللفظ القرآني
« الحبك » (بضمين) في قوله تعالى : « والسماء ذات الحبك »
(الآية ٧ من السورة ٥١ ، الذاريات) وكنت قلت آنذاك : « تقرا
على طريقة النطق عند تميم حين ينطق بها ساكنة الباء ، وهي حجازية
حين تقرأ بضمين متتابعين ، فأما الذين يقرأونها على طريقة أنطق
بني تميم أي بضم فسكون ، فهم أبو مالك الغفاري (ترجمته في أسد
الغابة ، الجزء الخامس : صفحة ٢٨٨) ، وأبو حيوة (توفي سنة
٢٠٣ هجرية ، وترجمته في النهاية ، الجزء الاول . صفحة ٣٢٥)
وابن أبي عبله (توفي عام ١٥١ هجرية ، ترجمته في الطبقات
الجزء الاول ، صفحة ١٩) وأبو السمال (سبقت الإشارة إليه في
الحاشية ٢٣ ، في ١٠١ ٣٠١) . وقرأ الجمهور بضمين متتابعين
على طريقة لهجة أهل الحجاز » أنظر البحث : « القراءات القرآنية
واللهجات العربية » الحلقة الرابعة ، المنشورة في مجلة « دعوة
الحق » العدد التاسع والعاشر ، السنة الخامسة عشرة صفحة ٦٩
ابتداء من العمود الاول .

٢٦ - انظر كذلك « الكتاب » للسيويه : الجزء الثاني ، صفحة ١٩٨
ابتداء من السطر العاشر .

٢٧ - هو أبو بشر عمرو بن عثمان امام البصريين وحجة النحويين وهو
من سلالة فارسية . ولد بونشا بقرية من قرى شيراز (مدينة في
بلاد فارس جنوباً) بناها محمد بن القاسم بن أبي عقيل مات
ببسلوة ، بلدة قريبة من مسقط رأسه سنة ١٨٠ هجرية .

باب ما أجري مجرى ليس في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ثم
يصير الى أصله » : « ومثل ذلك قوله عز وجل « ما هذا بشرا » (٣٨)
في لغة أهل الحجاز • وبنو تميم يرفعونها الا من عرف كيف هي في
المصحف » (٣٩) •

وقال وهو يتحدث عن « لدن » (٤٠) : « كما أن لدن لها مع
« غدوة » حال ليست في غيرها تنصب بها ، كأنه ألحق التنوين
في لغة من قال « لد » وذلك قولك من « لد غدوة » كأنه أسكن
الدال ثم فتحها • كما قال : « إضربن زيدا ففتح الباء حين جاء
بالنون الخفيفة والجر في « غدوة » وهو الوجه والقياس • »

وقال ، وهو بصدد شرح وقوع الاسماء ظروفًا ، وذلك مثل
« اليوم وغدا » : « فمن ذلك قولك متى يسار عليه وهو يجعله ظرفًا
فيقول « اليوم » أو « غدا » أو « بعد غد » أو « يوم الجمعة » ...
« وكما تقول في سعة الكلام « الليلة الهلال » وانما الهلال في بعض
الليلة ، وانما أراد « الليلة ليلة الهلال » ولكنه اتسع وأوجز وكذلك
هذا أيضا • كأنه قال سير عليه سير اليوم • والرفع في جميع هذا
عربي كثير في لغات العرب على ما ذكرت لك من سعة الكلام • »
وقال في الباب بعده (٤٢) : « وتقول : « اذا كان غد » فأنتي ، واذا

٣٨ - والآية بأكملها هي : « فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعدت
لهن متكأ وأتت أكل واحدة منهن سكينًا وقالت أخرج عليهن ، فلما
رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاشى لله ما هذا بشرا ان هذا
الا ملك كريم » (الآية ٣١ من السورة الثانية عشرة ، يوسف)

- ٣٩ - الكتاب ، الجزء الاول ، صفحة ٢٨ ، السطر ما قبل الاخير •
٤٠ - نفس المصدر ، الجزء الاول ، صفحة ١٠٧ : السطر الثامن •
٤١ - نفس المصدر ، الجزء الاول ، صفحة ١١٠ ، السطر الرابع •
٤٢ - نفس المصدر ، الجزء الاول ، صفحة ١١٤ ، السطر الرابع عشر •

كان يوم الجمعة فالقني « فالفعل لغد واليوم كقولك : « اذا جاء غد فأتني » • وان شئت قلت : « اذا كان غدا فأتني ، وهي لغة بني تميم » •

يتضح من هذه النصوص^(٤٣) القصيرة التي نقلتها أن امام النحاة لا يعني باللفظة «لغة» في حالتها الجمع والافراد ، الا اللهجة، وليس غير •

ولقد تبعت سبويه مع طول كتابه - وليس للكتاب ، بكل أسف ، حتى الآن فهارس ، تساعد الباحث على دراسة هذا المصنف العظيم^(٤٤) - فألفيته يستعمل لفظة «لغة» مكان ما نطلق عليه الآن

٤٣ - استعمل مفردة «النص» وأعني به *texte* وهذا ما سألتزمه • انظر الحاشية رقم ١ السابقة لثلا يلتبس الامر •

٤٤ - من المعلوم ان كتاب سبويه في طبعته الكثيرة التداول الآن بين الناس والمطبوع الجزء الاول منها بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق سنة ١٣١٦ هجرية والجزء الثاني بنفس المطبعة سنة ١٣١٧ هجرية لا يحتوي على فهارس : ومن هذه الطبعة أخذت وسأخذ جل شواهدى علما مني أنها هي التي يتوفر عليها طلابي والقراء من الناس ، وقد أنقل من طبعة أخرى الا أنني في هذه الحالة أشير الى ذلك وأنص عليه •

أما الطبعة الاولى للكتاب فقد أنجزها المستشرق الفرنسي *Derembourg* المزداد (المولود) بباريس سنة ١٨٤٤ والمتوفى بها سنة ١٩٠٨ المحقق لديوان النابغة ول « كتاب الاعتبار » لاسامه بن منقذ ول « النكت العصرية لعمارة اليمني » والمنجز « فهرس المخطوطات العربية في الاسكوريال » • قدم لكتاب سبويه وطبعه في جزاين في باريس • ظهر الجزء الاول من هذه الطبعة سنة ١٨٨١ في ٦٠ صفحة مع مقدمة بالفرنسية في ٤٤ صفحة وظهر الجزء الثاني سنة ١٨٨٩ بمقدمة بالفرنسية في صفتين •

«لهجة» ليتحدث عن ٢٣ منها، درسها في كتابه دراسة علمية دقيقة، معرزا
هذه الدراسة البالغة الاهمية بأمثلة رويت له من أفواه رجال هذه
القبائل .

أما الطبعة الثانية فقد انجزت في كلكتا سنة ١٨٨٧ أي قبل
تمام ظهور الطبعة الاولى بسنتين صححها الاستاذ ليرالدين احمد
وهي في ١١٠٥ صفحة من القطع المعتاد ولكنها ايضا خالية من
الفهارس ولم تستفد بما انجز في باريس .
أما الطبعة الثالثة فهي الترجمة الالمانية الكاملة لكتاب سيويه
في نصه المحقق من طرف الاستاذ Derenbourg . قام بهذه
الترجمة استاذ بجامعة لوكسمبرج يسمى U. gustave John
ولد سنة ١٨٣٧ وتوفي سنة ١٩١٧ . تلقى علوم اللغة العربية على
الاستاذ فلايشر وستنفلد وغيرهما . من أعماله التي تذكر فتهشكر .
نشره لشرح المفصل لابن يعيش وطبعه في ليبزيج من سنة ١٨٨٢
الى ١٨٨٦ م . بدأت تظهر هذه الترجمة مع مطلع سنة ١٨٩٥ الى
أن تمت سنة ١٩٠٠ .

أما الطبعة الرابعة فهي طبعة بولاق التي أشرت اليها في صدر
هذه الحاشية وهي طبعة مزيلة بنص كامل لشرح أبيات الكتاب
للالعام الشنتمري المسمى « تحصيل عين الذهب » من معدن جوهر
الادب ، في علم مجازات العرب » . وقد اعتمد المشرف على هذه
الطبعة السيد « محمود مصطفى » على طبعة باريس لتصحيح ما
يجب تصحيحه ، مثال ذلك ما جاء في صفحة ٢٣ من الجزء الاول:
قال : « قوله (كان سبيئة كذا في المطبوع ومثله في اللسان) »
وكقوله في صفحة ١٤٥ من نفس الجزء : « قوله وهو عند ابن
عبس كذا في الاصل والمطبوع ومثله في اللسان » .

وكقوله في نسخ الخط وفي اللسان نسبة هذا الشعر الى مساور
بن هند العبسي وفي الشواهد نسبته للعجاج فحرر ، كما ان مصحح
هذه الطبعة يعتمد على نسخ خطية . جاء في صفحة ١٤١ من الجزء
الاول قوله : « سقط هذا البيت وما يتعلق به مقدما ومؤخرا من
نسخ الخط التي بأيدينا » .

١٠٢٠١ أماكن وردت فيها لفظة « لهجة » مكان « لغة » في كتاب سبويه

رأيت يتحدث عن لغة بني ضُبَّة^(٤٥) ، وعن لغات الانصار^(٤٦) ،
وبني قيس^(٤٧) وخثعم^(٤٨) ومذحج^(٤٩) - وبني قشير^(٥٠) وقيس بن
ثعلبة^(٥١) وأزد السراة^(٥٢) وبني أسد^(٥٣) وبني الحرماز^(٥٤) وبني

أما الطبعة الخامسة فقد انجزتها مكتبة المثنى ببغداد التي قامت
بتصوير نسخة بولاق فهي اذن مطابقة لها لا اقل ولا أكثر .
أما الطبعة السادسة فهي الطبعة التي يقوم الآن الاستاذ
عبد السلام محمد هارون بتحقيقها وشرحها . ظهر منها حتى الآن
اجزاء ثلاثة طبعت بدار القلم سنة ١٣٨٥ (١٩٦٦م) مصدرة بمقدمه
طويلة من ٥٩ صفحة . ينتهي هذا الجزء بباب المبدل من المبدل منه
وهو في ٤٦ ٤ صفحة وطبع الجزء الثاني بدار الكتاب العربي للطباعة
والنشر بالقاهرة سنة ١٣٨٨ (١٩٦٨م) وهو في ٣٠ ٤ صفحة وينتهي
عند باب « ما تلحقه الزيادة في الاستفهام » . وطبع الجزء الثالث
في دار الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٣م ، وهو في ٦٥٠
صفحة وينتهي بـ « باب تكسيراك ما كان من الصفات عدد حروفه
اربعة أحرف » .

وبما ان هذه الطبعة العلمية الدقيقة لم تتم بعد فان فهرسها
الفنية لم تظهر بعد لنستفيد منها .

٤٥ -	أنظر مثالا لذلك في الكتاب ، الجزء الاول ،	صفحة ٩٥	السطر الثالث
٤٦ -	- - - - -	صفحة ٩٥	السطر السابع
٤٧ -	- - - - -	صفحة ١٠٤	السطر الاول
٤٨ -	- - - - -	صفحة ١١٥	السطر الثاني
			والعشرون .
٤٩ -	- - - - -	صفحة ١٦١	السطر الثالث
		وكذا ٣٥٢	السطر السابع
٥٠ -	- - - - -	صفحة ٢٢٨	السطر السابع
٥١ -	- - - - -	صفحة ٢٤٦	السطر السابع
٥٢ -	- - - - -	صفحة ٢٣٥	السطر السابع
		وكذا صفحة ٣٤١	السطر ٩
		وص ٣٤٦	السطر ١

يشكر^(٥٥) وبني سليم^(٥٦) وبني سلول^(٥٧) وبني مازن^(٥٨)
والحارثيين^(٥٩) وبني دارم^(٦٠) وهذيل^(٦١) وبني تغلب^(٦٢) وبني
تميم^(٦٣) وبني كليب^(٦٤) وبني طهية^(٦٥) وبني كلاب^(٦٦) والسعديين^(٦٧).

٥٢	- - - - -	صفحة ٢٨٧ السطر ما
		قبل الاخير .
٥١	- - - - -	صفحة ٣١٣ السطر
		الخامس عشر
٥٥	- - - - -	صفحة ٣٤٤ السطر الرابع
٥٦	- - - - -	صفحة ٤٤٩ السطر
		الحادي عشر .
٥٧	- - - - -	صفحة ٣٥٨ السطر ٧
		وص ٤١٦ السطر ٦
		و ٤٣٢ س ٥ وصفحة ٤٣٨
		س ٨ وص ٤٤٢ س ٧
٥٨	- - - - -	صفحة ١٦٨ السطر الاول
٥٩	- - - - -	صفحة ٤١٩ السطر
		الثالث عشر .
٦٠	- - - - -	صفحة ٤٢١ السطر
		السابع عشر .
٦١	- - - - -	صفحة ٤٣٨ السطر العاشر
٦٢	- - - - -	صفحة ٤٤٩ السطر الاخير
		صفحة ٦٥ السطر ٤
٦٣	- - - - -	صفحة ٤٨٥ س ٣ والجزء
		الثاني .
٦٤	- - - - -	الجزء الثاني صفحة ٥٩ السطر
		الرابع .
٦٥	- - - - -	صفحة ٦٤٥ السطر السادس
		عشر .
٦٦	- - - - -	صفحة ١٧٤ السطر
		التاسع عشر .
٦٧	- - - - -	صفحة ٢٠٢ السطر
		الخامس عشر .

ويستعمل كلمة «لغة» في زمانه بمعنى «لهجة» أبو زيد سعيد بن أوس الانصاري^(٦٨) ، فيقول في نوادره ، وهو يشرح قول الراجز:
لقد رأيت عجبا مذ أمسا

عجائزا مثل الافاعي خسا

ياكلن ما في رحلهن همسا

لا ترك الله لمن ضرسا

فقوله : « أمسا » ذهب بها الى « لغة » بني تميم . يقولون :
« ذهب أمس بما فيه » فلم يصرفه «^(٦٩) .

وقال في مكان آخر : « علاها أراد عليها ولغة بني الحارث ابن كعب قلب الياء الساكنة اذا افتتح ما قبلها ألفا . يقولون : « أخذت الدرهمان واشترت ثوبان ، والسلام علاكم . » ، وهذه الايات على لغاتهم . «^(٧٠) .

٦٨ - ولد سنة ١١٩ هجرية موافق ٧٣٧ ميلادية . كان اماما من أئمة الادب وعلم من أعلام اللسانيات ، من أهل البصرة . كان يرى رأي القدرية . كان ينقل سيبويه عنه ويقول « سمعت الثقة » وكان حقيقة من ثقات اللغويين . ترك لنا « النوادر » الذي أنقل عنه هنا و « الهمز » و « المطر » و « اللبأ واللبن » وكل هذه الكتب مطبوعة . أما الكتب التي لم تطبع فكثيرة ذكرها صاحب وفيات الاعيان في الجزء الاول صفحة ٢٠٧ . توجد اخبار عنه في « جمهرة الانساب » صفحة ٣٥٢ . وفي تاريخ بغداد في الجزء التاسع منه ، صفحة ٧٧ وفي نزهة الالباس صفحة ١٧٤ وفي انباء الرواة الجزء الثاني . ابتداء من صفحة ٣٠

٦٩ - النوادر في اللغة ، صفحة ٥٧ ، السطر الخامس .

٧٠ - نفس المصدر ، صفحة ٥٨ السطر الثامن

ويقصد بالآيات يتين رواهما أبو الفول للمفضل الضبي (٧١)

٧١ - هو المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن مسالم ، الضبي النوبي اللغوي . «أخذ القراءة عن عاصم . روى عنه أبو زكريا يحيى بن ريد الفراء وكذا علي ابن حمزة الدساتي وغيرهما . قدم المفضل بغداد في أيام هارون الرشيد . يعتقد بعض المؤرخين انه ولد في العشر الاول من القرن الثاني ، واسر في الوقعة وكانت سنة ١٤٥ .

اخبرنا الحافظ الذهبي في كتابه « تاريخ الاسلام » (لا زال مخطوطاً) ، ولدا في مؤلفه « ميزان الاعتدال » الجزء الثالث ، صفحة ١٩٥ ووافقه في هذه الرواية الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي (ابن الجزري) في كتابه « ثاية النهاية في طبقات القراء » الجزء الثاني صفحة ٢٠٧ ان المفضل توفي سنة ١٦٨ هجرية وهذا مردود ما دام الجميع متفقا على دخول صاحبنا بغداد أيام هارون الرشيد الذي لم يل الخلافة الا سنة ١٧٠ .

يعتقد كثير من المؤرخين انه توفي سنة ١٧٨ هجرية وهو أمر تؤيده نصوص كثيرة . « والمفضليات » وهو من كتب الاختيار من صنع المفضل الضبي ، وأعتقد انه أول اختيار في ميدان الشعر نلاه بعد ذلك كتاب « الاصمعيات » من اختيار ابي سعيد عبدالمالك بن قريب الاصمعي ، ثم « جمهرة اشعار العرب » من صنع ابي زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي . ثم « مختارات شعراء العرب » من اختيار ابي السعادات ابن السجري ، ثم « ديوان الحماسة » لابي تمام ، وآخر للبحثري وثالث لابي هلال العسكري ورابع للاعلم الشنتمري .

واقدم طبعة للمفضليات هي التي قام بها المستشرق توريكة ، انجزت في ليبزيج سنة ١٨٨٥ ثم تلتها طبعة اخرى كاملة في جزأين في مصر سنة ١٣٢٤ . (لم يطبع في ليبزيج الا جزء واحد) ثم طبعة ثالثة مع شرح الانباري تكفل بها المستشرق Sir Charles James Lyall وذيلا بتعليقات مع ترجمتها الى الانجليزية ثم وضع فهرسها Ashley Bevan في مجلد ، ظهرت هذه الطبعة سنة ١٩٢٠ .

كما نعرف طبعة اخرى للمفضليات باشراف الاستاذ حسن السندوري الذي أخرجها للناس مع شرح موجز سنة ١٣٤٥ .

سمعهما الاول من بعض أهل اليمن (٧٢) ، وهما :

اي قلو ص (٧٠) راكب تراها

طاروا عليهن فشل علاها (٧٤)

واشدد بمتني حقب حقواها

ناجية وناجياً أباهـا (٧٥)

فليس هنا اذن « لغة » بالمعنى الذي نعرفه الآن حتى يجوز لنا أن نقول : ان « علاها » قول لأمة ، و « عليها » قول آخر لأمة أخرى ، بل لا يعدو الامر أن يكون في الحقيقة خلافا بين قبيلة وقبيلة داخل أمة واحدة تتكلم لغة واحدة . أما تبرير وجود هذا الخلاف ، فمن السهولة بمكان . ذلك ان قبيلة ما داخل الامة العربية — وهي هنا قبيلة بني الحارث — لا يساعفها النطق بالياء بعد الفتح أبداً ، لانها لم تألفها ، لا نطقاً ، ولا سمعاً ، ولن يفلح أحد في حمل أفرادها على النطق بغير ما تعودت وبعكس ما ألفت ، ولو بذل ما بذل من

وآخر طبعة نعرفها للمفضليات هي التي حققها الاستاذان أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون والتي ظهرت منها حتى الان ثلاث طبعات (١٩٦٤) . .

٧٢ — قال أبو حاتم سألت عن هذه الابيات أبا عبيدة : فقال : « انقض عليه هذا ، صنعه المفضل . »

٧٣ — مؤنثة .

٧٤ — أراد ناظم الابيات « عليها » وهذه هي لغة بني الحارث بن كعب الذين يقلبون الياء الساكنة اذا انفتح ما قبلها كما يقولون : « أخذت الدرهمان واشتريت ثوبان ، والسلام علاكم » .

٧٥ — يمكن أن يكون أراد بـ « أباهـا » « أبوها » ، فجاء به على لغة من قال هذا أباك في وزن « هذا قفاك » وكذا كان القياس . وقال بعضهم ولكن يقال أب وأبان كقولك يد ويسدان ودم ودمان فأراد الاثنين (النوادر في اللغة) .

الجهد ، ولو حاول من التمرين والتطبيق ، ولو أتى بما أتى من الشرح والتأويل ، وإن قبيلة أخرى لا يساعفها النطق بما نطقت به بنو الحارث لأنها ترى فيه مدعاة ، تارة للالتباس بالمشنى المرفوع — وكثير من القبائل تفر من الالتباس ولو خالفت القاعدة النحوية — وطورا معاكسة ما أسميه بـ « المجانسة الصوتية » التي ألفت التلفظ بها وتعودت سماعها ، مجانسة لا تريد بها بديلا ، لا سيما وقد بنت عليها قواعد صوتية لا تحصى ، رسخت بين عشائرها ، ونبتت بين أفرادها ، ولا سبيل الى اقتلاعها بحال من الاحوال .

١٠٢٠٣ نص قديم يوضح الفكرة السابقة

أما الدليل على أن أفراد قبيلة ما لا يستطيعون أن يتحولوا عن نطقهم الى نطق آخر، فهو ما سجله لنا أبو الفتح عثمان ابن جني^(٧٥) الذي قال : « وأخبرنا أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد القرمسيني^(٧٦) عن أبي بكر محمد بن هارون الروياني^(٧٧) عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني^(٧٨) ، في كتابه الكبير في القراءات قال : « قرأ عليّ

١٧٥ — أنظر ترجمته في نزهة الالباء من ٤٠٨ من الطبعة الاولى — الكامل لابن الاثير في حوادث سنة ٣٣٧ .

٧٦ — ضبطها صاحب القاموس بكسر القاف وضبطها صاحب معجم البلدان بفتحها . أورده ابن الجزري في كتابه « طبقات القراء » في الصفحة السابعة من الجزء الاول فقال : « ابراهيم بن أحمد بن الحسن بن مهران أبو اسحق القرماسيني » ويقول ابن جني عن هذا القارئ : « فأما ما رأيناه في ذلك فكتاب أبي حاتم سهل بن أحمد القرميسيني » لا أعرف سنة وفاته ، وهو قطعا من معاصري ابن جني في القرن الرابع .

٧٧ — اختلف أصحاب التراجم في اسمه ، فمن قائل انه « محمد بن مقرون » كما في أحد النسخ الخطية لكتاب المحتسب وسماه ابن الجزري في « غاية النهاية في طبقات القراء » الجزء الثاني ، صفحة ٢٧٣ ، بـ « محمد بن هارون الطبري » والرويانى بضم الراء

أعرابي بالحرم : « طيبي لهم وحسن مأب » (٧٩) فقلت: طوبى، فقال:
طيبي ، فأعدت فقلت : طوبى (٨٠) ، فقال طيبي (٨١) ، فلما ل طال عليّ

و سكن الواو وفتح الياء آخر الحروف وبعد الالف نون ، هذه
نسبة الى رويان : وهي مدينة بنواحي طبرستان خرج منها جماعة
من أهل العلم . (أنظر اللباب في تهذيب الانساب الجزء الثاني ،
صفحة ٤٤ ، السطر التاسع .)

٧٨ - توفي سنة ٢٥٥ هجرية ، كان امام البصرة في اللسانيات والعروض
والقراءة . يعتقد ابن الجزري انه أول من صنف في القراءات . لزمه
المبرد ، عالم اللسانيات المشهور ، زمنا طويلا أخذ عنه ، له ،
من المصنفات التي طبعت « المعمرين » و « النخلة » و « الاضداد »
الذي نشره في بيروت سنة ١٩١٢ و ١٩١٣ المستشرق August
Haffner مع كتب أخرى في الاضداد لابن السكيت والصغاني

والاصمعي مع حواش للاب انطون صالحاني اليسوعي .

Drei arabische Quellenwerke über die Addād, mit Beiträgen von
P.A. Sahani S. J. und einem spätarabischen Anhang.

والتي لم تنشر ، في علمي على الاقل : ك «الوحوش» و «الحشرات»
و « الشوق الى الوطن » و « العشب والبقل » و « الفرق بين
الآدميين وكل ذي روح » و « المختصر » وهو في النحو على
مذهب سيبويه .

٧٩ - الآية ٢٩ السورة الثالثة عشرة ، الرعد . والآية بأكملها هي :
« الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مأب » .

٨٠ - هذه قراءة الجمهور بلا خلاف بينهم . لكنهم اختلفوا في تأويل
هذا النطق ، فمنهم من قال انها جمع « طيبة » قاسوه ب «كوسى»
في «كيسة» و «صوفي» في «صيفة» . على رأس القائلين بهذا القول
أبو الحسن الهنائي (بضم الهاء وفتح النون وبعد الالف ياء مثناه
من تحتها - هذه النسبة الى هناة بن مالك فهد بن غنم بن دوس ،
بطن من الاوس ينسب اليه نفر) (أنظر اللباب في تهذيب الانساب)
الجزء الثالث ، صفحة ٣٩٣ السطر الخامس .

قلت : طوطو ، قال : (طيطي)^(٨٢) . أفلا ترى الى هذا الاعرابي ،
وأنت تعتقده جافيا كزا ، لا دمثا ولا طيعا ، كيف نبا طبعه عن ثقل
الواو الى الياء فلم يؤثر فيه التلقين ، ولا ثنى طبعه عن التماس الخفة
هزّ ولا تمرين ، وما ظنك به اذا خلى مع سومه^(٨٣) وتساند الى

وان هذا التأويل الذي صدر عن هذا الفريق لغريب جدا ، لان
فعلى ليست من الفاظ الجموع الا ان كانوا يعنون اسم الجمع .
ومنهم من قال هي مفرد مصدر ، كبشرى ورجعى وعقبى . لكنهم
حتى في هذه الحالة المقبولة التي نتبناها لانها معقولة يختلفون فيما
بينهم في مدلولها . فمن قائل « غبطة لهم » يوجد على رأس هذا
الفريق الذي قال بهذا التفسير الضحّاك . ومنهم من رأى انها تعني
« نعمى لهم » تقول بهذا جماعة على رأسها عكرمة . ومنهم من
رأى انها تدل على « فرح وقرّة عين » قال بهذا جماعة على رأسهم
ابن عباس . ورأت جماعة أخرى يترأسها قتادة أن « طوبى لهم »
تعني « حسنى لهم » وهي كما ترى ، أقوال متقاربة . ويظهر ان
هذه اللفظة من أصل حبشي . (انظر البحر المحيط : الجزء الخامس
صفحة ٣٨٩ ، السطر ٢٧) .

٨١ - قرأها هكذا أي « طيبى » بكرة الاعرابي لتسلم الياء من القلب وان
كان وزنهما « فعلى » (انظر أبا حيان الغرناطي ، توفي سنة ٧٥٤
في تفسيره البحر المحيط ، الجزء الخامس ، صفحة ٣٩٠ السطر
التاسع) .

٨٢ - حاشية محقق « الخصائص » لابي الفتح عثمان بن جني الاستاذ
محمد علي النجار ، جاء فيها : « كتب هكذا بفصل الكلمتين ، فانه
لا يريد تكوين كلمة من هذين المقطعين ، وفي هامش أ . » « طيطي »
(الحاشية رقم ١ في صفحة ٨٦ من الخصائص ، الجزء الاول)
والنسخة الخطية التي أشار اليها المحقق في حاشيته ب . أ . هي نسخة
خزانة المدرسة الحنفية بجامع صرغتمش بجوار جامع ابن طولون
وتحمل رقم ١١٠ نحو (انظر مقدمة تحقيق الخصائص) .

٨٣ - أي تركه يفعل كيف يشاء . وأصل ذلك في الماشية وهي ترسل
في المرعى حيث شاءت . فيقال : خلاها وسومها . (الحاشية رقم
٢ لمحقق الخصائص)

سليقته^(٨٤) ونجره .

وسالت يوما أبا عبدالله بن العساف العفيلي الجوتي ، التميمي -
تميم^(٨٥) جوتة - فقلت له : كيف تقول : ضربت أخاك ؟ قال : أقول
ضربت أخاك . فأدرته^(٨٦) على الرفع ، فأبى ، وقال : لا أقول : أخوك
أبدا . قلت : فكيف تقول : ضربني أخوك ، فرفع . فقلت : أأست
زعمت أنك لا تقول : أخوك أبدا ؟ فقال : أيش هذا ! اختلفت جهتا
الكلام . فهل هذا إلا أدل شيء على تأملهم مواقع الكلام ، واعطائهم
إياه في كل موضع حقه ، وحصته من الاعراب ، عن ميزة وعلى بصيرة ،
وأنه ليس استرسالا ولا ترجيما . ولو كان كما توهمه هذا لكثير
اختلافه ، وانتشرت جهاته ، ولم تنقد مقاييسه . وهذا موضع تفرد
بابا بأذن الله تعالى فيما بعد »^(٨٧) .

١٠٢٠٤ استمرار استعمالهم « لغة » مكان « لهجة » زمنا طويلا

ونجد لهذه اللفظة نفس الاستعمال بعد قرن من الزمن تقريبا ،
نجدها بعد سيويه والانصاري عند اللغوي أبي يوسف يعقوب بن

٨٤ - يقال فلان يقرأ بالسليقة إذا كان يقرأ بطبعه لا عن تعلم . والنجر :
الاصل والطبيعة (حاشية الخصائص) .

٨٥ - بضم الجيم وسكون الواو : اسم حي أو موضع نسبت إليه تميم .
وتميم تقرأ بالنصب أي أعنى ، وسمع جرهما على حذف المضاف
وابقاء جر المضاف إليه أي صاحب تميم ، وللكوفيين في الجر
توجيه آخر ، وانظر الصبان في أول النسب . (حاشية الخصائص) .

٨٦ - يقال : أدرت فلانا على الأمر إذا حاولت الزامه إياه . (حاشية
محقق الخصائص)

٨٧ - الخصائص ، الجزء الأول ، السطر ما قبل الأخير في الصفحة ٧٥

اسحاق المعروف بابن السكيت^(٨٨) قال في كتابه «اصلاح المنطق^(٨٩)» : « ويقال الصرع^(٩٠) لغة قيس والصرع^(٩١) لغة تميم .

٨٨ - ازداد (ولد) ابن السكيت سنة ١٨٦ هجرية (٨٠٢ ميلادية) . يقول ابن خلكان في كتابه « وفيات الاعيان » صفحة ٤٠٨ من الجزء الثاني من طبعة بولاق عن لقبه « والسكيت لقب ابيه عرف بذلك لانه كثير السنون » ، طويل الصمت » ينسب الى حورق وهي بلدة من أعمال خوزستان من كور الاهواز . كان الابن اماما في اللغة والادب ، تعلم ببغداد واتصل بالمتوكل العباسي . ترك لنا من المصنفات : « اصلاح المنطق » و « الالفاظ » و « الاضداد » و « القلب والابدال » و « شرح ديوان عروة بن الورد » و « شرح ديوان قيس بن الخطيم » وكل هذه الكتب طبعت . اما التي لم اطلع عليها مطبوعة فهي « الاجناس » و « سرقات الشعراء » و « الحشرات » و « الامثال » و « شرح شعر الاخطل » و « تفسير لشعر ابي نواس » و « شرح الاعشى » و « شرح شعبي زهير » و « غريب القرآن » و « النبات والشجر » و « النوادر » و « معاني الشعر » و « شرح شعر ابن ابي ربيعة »

٨٩ - يعد كتاب (اصلاح المنطق) من كتب لحن العامة خلافا لما يعتقده البعض وعلى رأسهم جرجي زيدان (تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الثاني ، صفحة ١٨) الذي ظنه في « المنطق » وفي علوم من العربية أخرى . ولقد اراد ابن السكيت ان يعالج به داء كان قد استشرى في لغة العرب والمستعربة . ألف قبله في نفس الموضوع كل من الكسائي (توفي سنة ١٨٩ هجرية موافق ٨٠٥ ميلادية) كتابا سماه « لحن العامة » وابي الهيثم (من علماء القرن الثالث الهجري) ، والفراء (المتوفى سنة ٢٠٧ هجرية موافق ٨٢٢ ميلادية) كتابا سماه « البهاء فيما تلحن فيه العامة » . وابي عبيدة (المتوفى سنة ٢١٦ هجرية موافق ٨٣١ ميلادية) كتابا في نفس الموضوع ولقد اهتم بكتاب « اصلاح المنطق » علماء اللغة اهتماما كبيرا فتصدوا له بشرحونه تارة ويختطروونه أخرى لعل قتلته المتوكل سنة ٢٤٤ هجرية موافق ٨٥٨ ميلادية .

٩٠ - بكسر الصاد .
٩١ - بالفتح .

وكلاهما مصدر صرعت^(٩٢) . « وقال في نفس الكتاب : « رفقة^(٩٣) ورفقة^(٩٤) لغة قيس وتميم^(٩٥) » .

فاذا أرادوا تقسيم هذه اللهجات نعتوها ، فكانت عندهم « اللغة الفصيحة » و « الفصحى » و « العليا » و « العليا » و « الرديئة » و « القبيحة » وغير ذلك من الصفات ، رأينا بعضها فيما سبق من الشواهد وسنرى الباقي فيما يستقبل .

كما نجد للفظ « لغة » بعد قرنين وربع نفس المدلول تماما . ذلك أن أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد^(٩٦) ، يقول وهو يحاول حل لغز أصل أسماء ولد المطلب بن عبد مناف : « واشتقاق مسطح من شيئين ، اما من عمود الخباء الذي يلي السطح ، والجمع مساطح ، أو هو من السطح ، وهو مريد التمر بلغة أهل نجد »^(٩٧)

٩٢ - « أصرح المنطق » صفحة ٣١ ، السطر الثاني .

٩٣ - بنسب الزاء .

٩٤ - بالضم .

٩٥ - إصلاح المنطق ، صفحة ١١٥ .

٩٦ - هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، أبو بكر ، ازداد سنة ٢٢٢ هجرية موافق ٨٣٨ ميلادية . قال عنه أبو الطيب اللغوي في مراتب اللغويين صفحة ٨٤ : « هو الذي انتهى إليه علم لغة البصريين ، وكان أحفظ الناس وأوسعهم علما وأقدرهم على شعر ، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وابن دريد . وتصدر ابن دريد في العلم ستين سنة » . خلف لنا مؤلفات مهمة منها : « المقصور والممدود » و « المجتنى » و « صفة السرج والملحام » و « الملاحسن » و « السحاب والغيث » وكلها مطبوعة متداولة . كما ترك لنا مصنفات ما تزال مخطوطة ، مثل « شرح المقصور والممدود » و « ذخائر الحكمة » وغيرها .

٩٧ - الاشتقاق ، صفحة ٨٦ ، السطر ١١ .

وقال في نفس الباب : « وركانة ، فعالة من قولهم ركنت الى
الشيء أركن ركانا ، وهي اللغة العالية » .

وقال وهو بصدد الحديث عن قبائل يربوع بن حنظلة : « وجمع
معذرة ، معاذير . وفسر قوم قوله عز وجل : « ولو ألقى
معاذيره »^(٩٨) ، وهي لغة أزدية بـ « الستور »^(٩٩) . الواحد
« معذار »^(١٠٠) .

وقال وهو يدرس أسماء الاعلام في قبائل سليط : « وقال بعض
الرجاز^(١٠١) :

يا قاتل الله بني السعلاة عمرو بن يربوع شرار النات
غير أعفاء ولا أكيات^(١٠٢)

أراد : الناس ، والاكياس ، وهي لغة لهم^(١٠٣) .
وهكذا صار ابن دريد يستعمل لفظة « لغة » في مكان « لهجة »
كما فعل الآخرون قبله .

٩٨ - الآية ١٥ من السورة الخامسة والسبعين ، القيامة .
٩٩ - في المطبوع المتداول بين الناس : « وهي لغة ازدية ، وهي الستور » :
كلام غير مستقيم .

١٠٠ - الاشتقاق ، صفحة ٢٢٢ ، السطر الرابع
١٠١ - هو علباء بن أرقم كما في نوادر ابن زيد ، صفحة ١٠٤ وفي اللسان
مادة (نوت) ، وانظر كذلك الحيوان الجزء الاول ، صفحة ١٨٧
١٠٢ - الاشتقاق ، صفحة ٢٢٧ ، السطر ١٢ .
١٠٣ - أورده كذلك أبو زيد سعيد بن أوس الانصاري ، في النوادر في
اللفظة : صفحة ١٠٤ ، الطبعة الثانية لبنان ١٣٨٧

٥٠٢٠١ حد اللغة في هذه العصور التي تهمنا

لم نهتم حتى الآن بتعريف لكلمة « لغة » عند الإقدمين علما منا أنهم لم ينشغلوا بتحديد ما كان شغال علماء اللسانيات في العصر الحديث . ومع ذلك يحسن أن تقدم بعض تعريفاتهم لها ، لنكون فكرة ، ولو تقريبية ، في الموضوع . وإن أحسن تعريف ، في نظري ، للغة ، عند الإقدمين هو الذي قدمه لنا العالم اللغوي الكبير ابن جني ، قال : « أما حدها فانها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » . هذا حدها . وأما اختلافها فلما سذكره في باب القول عليها : أمواضة هي أم الهام . وأما تصرفها ومعرفة حروفها فانها فعلة من لغوت . أي تكلمت ، وأصلها لغوة ككرة وقله وثبة ... » (١٠٤) .

نلاحظ من هذا ان ابن جني لا يستطيع ، أو على الاصح لا يريد أن يقدم تعريفا للغة دون أن يتحدث عن أمور متشعبة ستبقى حتماً جوانب منها غامضة على كل حال .

هذه الصعوبة التي جعلت ابن جني يحجم عن التفكير في تعريف شامل للغة هي التي أحسن بها في عصرنا الحاضر العالم اللغوي (١٠٥) الذي لم يحاول أن يقدم تعريفاً .
Andre Martinet الفرنسي
للغة (١٠٦) دون ادخال الوحدات ذات الدلالة (١٠٧) فيه .

- ١٤٠ - الخصائص ، الجزء الاول ، صفحة ٣٣ ، في اولها
من الامام اودام سنة ١٩٠٨ وهو حاليا مدير الدروس بمدرسة الدروس العليا واستاذ بالسربون بباريس .
١٠٦ - انظر Ciers pour la sémantique للعالم اللغوي Geo. ges Mourin
صفحة ١٦ .
١٠٧ - انظر ان ترجم Les unités significatives « الوحدات ذات الدلالة » أو الوحدات الدالة . انظر الحاشية رقم ٣ .

وعرفها ابن الحاجب (١٠٨) فقال : « حد اللغة كل لفظ وضع لمعنى »
وقال الاسنوي (١٠٩) في شرح منهاج الاصول : « اللغات عبارة عن
الالفاظ الموضوعة للمعاني » (١١٠) .

ودقق النظر أكثر في اللغة الفقيه الشافعي الكيا الهراسي (١١١)

١٠٨ - هو عثمان بن عمر بن بكر بن يونس ، أبو عمرو جمال الدين
ابن احياب ، فقيه مالكي من علماء العربية ولد في اسنا (من
صعيد مصر) سنة ٥٧٠ هجرية موافق ١١٧٤ ميلادية ، نشأ
في القاهرة وسكن دمشق ، من كتبه المطبوعة « الكافية »
و « الشافية » الاولى في النحو والثانية في الصرف و « المقصد
الجميل » في العروض و « منتهى السؤل والامل في علمي الاصول
والجدل » و « مختصره » وهما في أصول الفقه : ومن كتبه التي
لا زالت مخطوطة « مختصر الفقه » و « الامالي النحوية »
و « الايضاح » يشرح به المفصل للزمخشري و « جامع الامهات »
في الفقه . مات في الاسكندرية ٦٤٦ هجرية موافق ١٢٤٩ ميلادية
١٠٩ - هو عبدالرحيم بن الحسن بن علي الاسنوي ، نسبة الى اسنا
(انظر معجم البلدان) التي ولد بها سنة ٧٠٤ هجرية موافق
١٣٠٥ ميلادية ، فقيه شافعي وعالم لغوي كبير لا أعرف له من
الكتب المطبوعة الا اثنين هما : « نهاية السؤل شرح منهاج
الاصول » (انظر الحاشية ١٠٨) و « التمهيد » في الفقه ، في
تخريج الفروع على الاصول . ومن مصنفاته التي لا زالت
مخطوطة « نهاية الراغب » وهو في العروض . و « الكوكب
الدري » في استخراج المسائل الشرعية من القواعد النحوية ،
و « جواهر البحرين » و « الهداية الى اوهام الكفاية » . توفي
سنة ٧٧٢ هجرية ١٣٧٠ ميلادية .

١١٠ - أنظر المزهري في علوم اللغة وأنواعها للامام عبدالرحمن جلال الدين
السيوطي ، الجزء الاول ، صفحة ٨ من بدايتها .

١١١ - أبو الحسن علي بن محمد بن علي الملقب بعماد الدين المعروف
بالكيا الهراسي ، فقيه شافعي ، مفسر . ولد في طبرستان وسكن
بغداد ، توفي سنة ٥٠٤ هجرية (من المزهري صفحة ٣٦ ، حاشية
رقم ١) .

فعرّفها بتعريف علمي دقيق ، قريب جدا مما يذهب اليه الآن علماء اللسانيات في عصرنا الحاضر ، الا أن تعريفه ، كما كان منتظرا ، جاء منطبقا على اللغة التي يتقنها ، وهي اللغة العربية ، قال في تعليقه في أصول الفقه :

« وهذا الكلام انما هو حرف وصوت ، فان تركه سدى غفلا امتد وطال ، وان قطعه تقطع ، فقطّعه وجزّاه على حركات أعضاء الانسان التي يخرج منها الصوت وهو من أقصى الرئة الى منتهى النهم ، فوجدوه تسعة وعشرين حرفا لا تزيد على ذلك ، ثم قسموه على الحلق والصدر والشفة واللثة ، ثم رأوا أن الكفاية لا تقع بهذه الحروف التي هي تسعة وعشرون حرفا ، ولا يحصل له المقصود بإفرادها ، فركبوا منها الكلام ثنائيا وثلاثيا ورباعيا وخماسيا . هذا هو الاصل في التركيب ، وما زاد على ذلك يستثقل ، فلم يضعوا كلمة أصلية زائدة على خمسة أحرف الا بطريق اللاحق والزيادة لحاجة . وكان الاصل أن يكون بازاء كل معنى عبارة تدل عليه ، غير أنه لا يمكن ذلك ، لان هذه الكلمات متناهية ، وكيف لا تكون متناهية ومواردها ومصادرها متناهية ؟ فدعت الحاجة الى وضع الاسماء المشتركة ، فجعلوا عبارة واحدة لمسميات عدة (١١٢) » .

الفصل الثاني

في العصور الحديثة

12-1-1964

12-1-1964

1

٠٢٠١ . بتعاريف غيرنا

لقد عرف علماء اللغة المعاصرون من غير العرب «اللغة» بتعاريف كثيرة . سأقدم بعضها حسب ترتيب تحكّمي لا أراعي في وضعه إلا الفائدة التي يقدمها لفكرة نشأة اللغة التي جعلتها من نقط هذا المؤلف (١١٣) .

٠٢٠٢ . ٠١ التعريف الاول

هو التعريف الذي تركه لنا العالم اللغوي الالماني Wilhelm von Humboldt (١١٤) . أعطيت لتعريفه الاسبقية على

كل التعاريف الاخرى :

أولاً لان هذا العالم اللغوي هو من مخضرمي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . لهذا استطاع أن يجمع ، لكن بذكاء مفرط ، بين النزعات المختلفة موفّقاً بينها أحسن توفيق .

ثانياً لأننا نلاحظ في أفكاره حول اللغة ما يساعدنا على فهم قضية « نشأة اللغة » . ذلك أن أفكاره تعبر ، أصدق تعبير ، عن

١١١ - لن اخصص خبراً مستقلاً للحديث عن قضية « نشأة اللغة »

لامرين ، لانني : من جهة سابعث فيها خلال عرضي لل فقرات الكثيرة القادمة ، ولانني من جهة أخرى ، اعتقد انه لم يبق التطرق لها ، من اجل البحث فيها وحدها ، أمراً ذا بال .

١١٢ - ازداد سنة ١٧٦٩ . كان ذا ذكاء خارق وتفكير عميق . أسس

سنة ١٨١٠ جامعة برلين ، أصبح وزيراً سنة ١٨١٨ ، أتقن

لغات كثيرة وألف دراسات مقارنة لأكثر اللغات التي كان يتقنها .

نشرت دراساته على الناس في نشرة ظهر أول جزء منها سنة ١٩٠٣

وأخر جزء منها سنة ١٩٣٦ تحت عنوان

Wilhelm von Humboldts Werke

وهي الان في ١٧ مجلداً . مات سنة ١٨٣٥ .

مذاهب الفلاسفة الذين اهتموا بماهية الكلام ، واللغة بالنسبة للفكر والثقافة ، وأصل الانسان ، ومآله بصفة عامة ، مثل كوندياك وتلميذه Court de Gébér (١١٥) ، كما تعبر في الوقت نفسه عن

مذاهب الكتاب مثل الكاتين الالمانيين J. G. Hamann (١١٦)

و J. G. von Herder (١١٧) .

ثالثاً لأنه كان المشجع الاكبر للدراسات المقارنة التاريخية . ولعل الذي دفعه الى هذا عاطفته الرومانسية التي كانت قد عمت أكثر بلدان أوروبا في ذلك العصر .

واننا لنعلم أن هذه العاطفة الرومانسية لترجم عند أمثال هؤلاء العلماء « بحنين عميق موجه نحو الماضي وتطلع شديد الى مجاهيله وغوامضه ، وبصفة خاصة مسائل أصل الانسان ، وأصل لغته وسر وجود الفكر مع اللغة عند الآدميين » (١١٨)

رابعاً لأن هومبولت من العلماء القلائل في ذلك العصر الذين لم يعتمدوا بشكل كلي ، ليحلوا المشاكل اللغوية ، على النظر والتأمل ، والحديث وبحثهم عن الغايات التي كتبت من أجلها هذه النصوص بل آمنوا بضرورة البحث الاستقرائي ، وذلك بتتبع النصوص القديمة ثم تحليلها تحليلاً علمياً دقيقاً .

١١٥ - ازداد سنة ١٧٢٥ وتوفي سنة ١٧٨٤ .

١١٦ - ازداد سنة ١٧٣٠ ومات سنة ١٧٨٨ .

١١٧ - كاتب وفيلسوف الماني عاش من سنة ١٧٤٤ الى ١٨٠٣ .

١١٨ - استعنت كثيراً هنا في بعض الفقرات الآتية بما كتبه الاستاذ عبدالرحمن الحاج صالح في مقاله « مدخل الى علم اللسان الحديث » المنشور في مجلة « اللسانيات » وهي مجلة تهتم بعلم اللسان البشري تصدرها جامعة الجزائر ، أخذت الفقرة أعلاه من المجلد الثاني للمجلة المذكورة : الصادرة سنة ١٩٧٢ صفحة ٢٣

وتعريف هذا العالم للغة هو :

« ان اللغة جهاز عضوي ويجب أن يُعالج على هذا الاساس .
ولذا فان اللغة ، اعتمادا على هذا التعريف ، نظام عضوي وبنية
(Sprachform) وصورة باطنية (Innere Sprachform) مخالفة
للصورة الظاهرية للكلام . واللغة عنده أيضا شرط لازم لوجود
الفكر ، يقول : « ان عملية الكلام تنحصر كلها في منحها للفكر مادة
يعتمد عليها ، بازالتها الابهام بفضل ما تتركه الاصوات المقطعة من
اثر ثابت ، باجبارها الذهن على أن تنتظم جميع معانيها بانتظام
الالفاظ المتعاقبة . » (١١٩)

وفرق كبير بين ما كان يراه أرسطو قديما من أن « اللغة مرآة
صادقة للعقل . » وما رآه العالم اللغوي هومبولت .

لقد رأى هذا الاخير أن اللغة « هي العضو الذي يصوغ
الفكر » . وهو رأي استحوذ على تفكير علماء العصر الحاضر ،
فاستمدوا منه المبدأ الذي نسميه « اشتراط اللغة » Principe du
determinisme linguistique وكان ، بعد أن أعلن عن هذا الرأي ،
وهو أن اللغة عضو يصوغ الفكر ، أمام مشكل عليه أن يجد له حلا .
فالمعاني لا حصر لها ولا عد ، ولا حدود ولا نهاية . فكيف تستطيع
لغة ليس لها الا وسائل محصورة العدد التعبير عنها . كان حله لهذا
الاشكال بسيطا للغاية . لقد اكتفى بأن بين أن النشاط الذي يحدث
الفكر هو نفسه الذي يحدث اللغة .

١١٩ - انظر Lettre à M Abel Rémusat الموجودة في كتاب
“De l'origine des formes grammaticales et de leur influence sur
le développement des idées” p. 86.

ومن هنا كان يقول : « ان الكلام في الحقيقة شيء يمر على الدوام ، بل وفي كل لحظة ، فالكلام ليس في ذاته ما يحدثه الحدث (أثر الفعل) بل حدث النشاط (الفعل نفسه) . »

لنا على هذا ملاحظتان :

٠١ ٠٢ ٠٣ الملاحظة الاولى

ان هومبولت يتفق ، كما نرى مع هذه المناقشات اللغوية التي كانت تدور قديما بين المعتزلة وغيرهم من المتكلمين . لا سيما وقد رأيناه يستعمل ، لتوضيح هذه الفكرة اللفظة الالمانية Erzeugue

التي لا حصر لها . « (انظر ٠١ ٠٢ ٠١) لا سيما وان « تيارا ذاتها التي استعملها المعتزلة وغيرهم من المتكلمين حين كانوا يتحدثون عن ماهية الكلام الذي حدده الجرجاني هكذا : « هو أن يحصل الفعل عن فاعله بتوسط فعل آخر كحركة المفتاح بحركة اليد . »

الا أن هومبولت يريد منا أن نبحث عن الفعل الذهني الفيزيولوجي الذي يحصل بواسطته الكلام . ذلك أنه ينظر الى اللغة نظرة حركية لا نظرة سكونية ، وبهذا فقط ندرك ما يرمي اليه حين يوضح أن الكلام في حد ذاته ليس بالشيء المحدث بالحدث ، بل حدثا ، أي فعلا ونشاطا .

٠١ ٠٢ ٠٤ الملاحظة الثانية

من الجائز أن يعتقد الناس أن هومبولت كان الرائد الاول حين وجد حلا للمشكل الذي يسميه « الفاظ اللغة محدودة بالنسبة للمعاني التي لا حصر لها . » (انظر ٠١ ٠٢ ٠١) لا سيما وان « تيارا كاملا من الابحاث اللغوية التي نشرت في مطلع القرن العشرين من Croce الى Cassiner ومن Weisgerber الى Whorf

قد أمكن تحديده بأرجاعه الى Humboldt . وسمي هذا التيار
« بعلم اللغة الهومبولدي الجديد » (١٢٠) .

الا أن الواقع عكس ذلك ، فالعرب قد سبقوا الى هذه الفكرة
وحللوها من جميع جوانبها وأعطوا فيها كلتهم التي لا تتباين في
شيء عما وصل اليه علم اللغة الحديث . ويكفي أن أورد ما صرح به
الامام فخرالدين الرازي (١٢١) وأتباعه في الموضوع لنقتنع بذلك . قال :

« لا يجب أن يكون لكل معنى لفظ لأن المعاني التي يمكن أن
تعقل لا تنهاى ، والالفاظ متناهية ، لانها مركبة من الحروف ،
والحروف متناهية ، والمركب من المتناهي متناه ، والمتناهي لا يضبط
ما لا يتناهى ، والا لزم تنهاى المدلولات . قالوا : فالمعاني منها

١٢٠ - أنظر « تاريخ علم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشرين »
ترجمة الدكتور بدرالدين القاسم ، صفحة ١٩٦

١٢١ - هو محمد بن عمر بن الحسن بن اليميني البكري الامام فخرالدين
الرازي . ازداد في الري سنة ٥٤٤ هجرية وقيل ٥٤٣ (موافق
١١٥٠ ميلادية) من مصنفاته التي طبعت « شرح أسماء الله
الحسنى » و « شرح قسم الالاهيات من الاشارات لابن سينا »
وتهذيب المسمى ب « لباب الاشارات » و « الاربعون في أصول
الدين » و « نهاية الايجاز في دراية الاعجاز » وهذا في البلاغة .
و « أساس التقديس » وهي في التوحيد و « المباحث الشرقية »
و « المسائل الخمسون في أصول الكلام » و « محصل افكار
المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين » و « معالم
أصول الدين » و « لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى
والصفات » و « مفاتيح الغيب » وهو في التفسير في ثمانى مجلدات
وله مصنفات أخرى ما زالت مخطوطة . توفي حسب ما جاء في
« طبقات الشافعية الكبرى » لتقي الدين السبكي الجزء الخامس ،
صفحة ٣٩ السطر الثاني يوم الاثنين . وكان يوم عيد الفطر سنة
٦٠٦ هجرية موافق ١٢١٠ ميلادية وكانت وفاته بهراة .

ما تكثر الحاجة اليه ، فلا يخلو عن الالفاظ لان الداعي الى وضع الالفاظ لها حاصل ، والمانع زائل ، فيجب الوضع ، والذي تقدر الحاجة اليه يجوز أن يكون ألفاظا والا يكون » (١٢٢) .

فهذا ، كما نرى رأي سديد للغاية لا يقوم حجة فقط على أن العرب سبقوا هومبولت لهذه الافكار ، وانما يأتي بأشياء أخرى لا تقل أهمية عن الاولى سأعرض لها في مظنتها المناسبة .

١٠٢٠٥٠ التعريف الثاني

من المعلوم أن سنة ١٨١٦ (١٢٣) كانت بحق سنة ميلاد علوم اللغة بالنسبة لاجيال عديدة من اللسانيين بأوروبة . ذلك ان Franz Bopp العالم الالماني الشهير (١٢٤) أصدر ، في هذه السنة ، كتابا حلل فيه ، ولاول مرة في التاريخ ، عدة لغات من الوجهة التاريخية ، وعلى أساس المقارنة لغرض علمي بحث (١٢٥) ، بعيد عن تلك التأملات الفلسفية

١٢٢ - انظر المزهري ، الجزء الاول ، صفحة ٤١ ، السطر الثالث
١٢٣ - اي قبيل وفاة هومبولت بتسعة عشر عاما . وقبل قرن تماما من طبع كتاب العالم اللغوي الكبير Ferdinand de saussure

١٢٤ - ازداد في مدينة ماينز سنة ١٧٩١ . تعلم الفلسفة على يد Windischmann والعربية في باريس من سنة ١٨١٢ الى سنة ١٨١٦ على يد المستشرق Syvestre de Sacy كما تعلم الفارسية

والعبرية على يد المستشرق Chezy . كان لبوب الفضل في ارساء المعالم لدراسة اللغة الكلتية التي خصها بكتاب عنوانه « اللغات الكلتية في ضوء الاسلوب المقارن » الذي ظهر لأول مرة سنة ١٨٣٨ ، توفي بوب سنة ١٨٦٧ .

١٢٥ - أريد ان أثير الانتباه الى قولي : (الوجهة التاريخية على أساس المقارنة العلمية) الذي أريد أن اسجل به امرا ذا بال في البحث اللغوي . ذلك انه يوجد في هذا المجال ميدانان : (انظر أيضا الحاشية رقم ١٢٨)

العقيدة والتحليلات الارسطوطاليسية السطحية التي يرجع الفضل في جمعها والاحتفاظ بها للعالم اللغوي Révész (١٣٦) .

١ - الميدان الذي يمكن ان نسميه ، كما اراد Friedrich Diez (انظر كتابه قواعد اللغة الرومانية) ب « القواعد المقارنة » وهي التي يطلق عليها الانجليزيون « فقه اللغة المقارن » والذي وصل الى اوجه بفضل جهود العالم اللغوي الامريكي Whitney سنة ١٨٧٥ (انظر ١٣٠٢٠١) وبفضل حنكة مدرسة النحويين الشباب الالمان (انظر ١٠٠٢٠١) سنة بعد ذلك أي في ١٨٧٦ وهذه الصيغة « فقه اللغة المقارن » هي التي سيأخذ بها De Saussure في محاضراته .

٢ - الميدان الذي يعرف ب « علم اللغة التاريخي » الذي جاء به Jacob grimm في كتابه « القواعد الالمانية » حيث قدم حديثا صريحا عن معالجة تاريخية لا مقارنة للغات الجرمانية . لذا عد المؤسس الحقيقي ل « علم اللغة التاريخي » .
الا أننا ان أمعنا النظر في القسمين ، لاحظنا أنهما يكادان يكونان مترادفين وبأصح تعبير متكاملين الامر الذي حدا ب Meillet الى القول : « بانه لا يوجد علم يسمى بالقواعد المقارنة » .

وان كنا نعلم هذه القواعد في فرنسا منذ خمسين عاما ، اذ لا توجد الا طريقة مقارنة ، وان ما أدعوه خطأ بالقواعد المقارنة ليس الا شكلا من أشكال التاريخ . فاذا أردنا بحث القواعد المقارنة لاحدى اللغات ، درسنا تاريخ هذه اللغة على هدى الطريقة المقارنة والحق ان القواعد النحوية التاريخية تستفيد من استخدام هذه الطريقة حتى انها لا تستطيع الاستغناء عنها « (تاريخ علم اللغة لجورج مونن ترجمة بدرالدين القاسم ، صفحة ١٨٥ من اولها ٢) .

وهذا بالذات هو الذي يدخل في صلب الموضوع : « الوجهة التاريخية على أساس المقارنة العلمية » .

١٢٦ - يعد Révész العالم اللغوي الوحيد الذي بحث ، في كتاب مستقل ، مسألة نشأة اللغة . ظهر كتابه لأول مرة في Borna

ويسمى كتاب Franz Bopp هذا الذي قلنا عنه انه ولد علوم اللغة في جيل هومبولت ، أي في جيل تلك المدرسة الرومانسية التي قامت تحارب الادباء العقلانيين وتميل ميلا شديدا نحو البحث في حضارات غريبة عن بلادها بـ « في نظام تصريف اللغة السنسكريتية ومقارنته

بالمانية سنة ١٩٤٦ . ثم ترجم الى اللغة الفرنسية تحت عنوان :
origine et préhistoire du langage وطبعته دار Payot

في ٢٢٢ صفحة سنة ١٩٥٠ . تحدث عن هذا الكتاب العالم اللغوي Vendryes في مجلة جمعية اللسانيات في جزئها ٤٤ من صفحة ٥ الى ٧ الذي صدر سنة ١٩٤٨ . كما تحدث عنه اللغوي Taylor سنة ١٩٥٨ في Word يساعدنا كتاب Kévész

على معرفة الفرضيات القديمة التي تعاقبت منذ أن بدأ الانسان يبحث في الموضوع الى زمن الكاتب . وهي أربع نظريات .
(١) **النظريات البيوانوجية** التي تفترض أن اللغة انحدرت شيئا فشيئا من تطور الحركات والاصوات التعبيرية العفوية . وعليه فإن اللغة على هذا نشأت من تقليد الصيحات أو الضجة الطبيعية . وهذا ما يسمى Pooh-pooh Theory (انظر ٢٠٢٠٢)

(٢) - **النظريات الانتروبولوجية** والذين يرون هذا الرأي ينسبون اللغة الى تلك العلاقات المتبادلة الرمزية الكائنة بين وقع المصدر الصوتي وبين معناه (ding-dong Theory) أو الى الاصوات المرافقة لجهد عضلي yo-he-ho Theory أو الى تطور الغناء

والحركات التعبيرية . ولقد حاولت بعض النظريات أن تعتمد على كيفية اكتشاف الطفل أو على الاشكال اللغوية التي رصدها العلماء عند الاقوام البدائية أو على اعراض امراض التخاطب .

(٣) - **النظريات الفلسفية الصرفة** ، لقد ذهب بعضهم الى أن اللغة فطرية عند الانسان ، وقال غيرهم انها مكتسبة وانها حصيلة اختراع ارادي ، لكنه طارء ، أو هي اكتشاف عارض .

(٤) - **النظريات اللاهوتية** ، يعتمد أصحابها على أن اللغة هبة من عند الله . صرح بذلك عندنا العالم اللغوي ابن فارس (انظر كتابه الصحابي ، صفحة ٥) وتبعه قوم وخالفه آخرون .

بالانظمة الصرفية المعروفة في اللغات اليونانية واللاتينية والفارسية
والجرمانية . « (١٢٧)

ففي هذا الكتاب بالذات نجد التعريف الثاني للغة ، وإن كان
لا يختلف كثير الاختلاف عن التعريف سابقه ، ما داما ، معا ،
يسيران في تيار واحد هو : المقارنة من أجل بيان القرابة بين اللغات
الهندية الاوروية « يقول Franz Bopp معرفا للغة : أنها الجسم
العضوي الحى » ، الا أنه يكتفي في بعض الاحيان بتشبيهها بـ
« العضوية الحية » قاصدا بهذا ما نطلق عليه الآن « البنية » .

٠٦ ٠٢ ٠١ وفاة وثيقة الصلة بهذه التعاريف

ان تعاريف هومبولت ومن شاكلة مثل Ramus Rask & Schlegel
الدنماركي (١٢٨) ، صاحب كتاب : « التحقيق في أصل اللغة

١٢٧ - يسمى كتاب : Franz Popp

über das Konjugationssystem der Sanskritsprache in Vergleichung
mit dem der griechischen, lateinischen, persischen und
germanischen Sprache.

صدر بـ lena سنة ١٨١٦

١٢٨ - كان Ramus Rask ، الذي ازداد سنة ١٧٨٧ شخصية

عظيمة في ميدان علم اللغة ، لا سيما « القواعد المقارنة » (انظر
الحاشية رقم ١٢٥) كما يشهد بذلك Pedersen (انظر كتابه
Discovery) « اكتشاف اللغة من صفحة ٢٤٨ الى صفحة

٢٥٤ » لكن الناس غمطوه حقه ، فلم يتحدثوا عنه الا لاما وبشكل
سريع جدا مثل ما فعل العالم الفرنسي Raumer و Bréal

الذي اوضح سنة ١٨٧٠ ان الالماني Jueob grimm مدين في

كثير من نظرياته الى جهود Rask . ويجب أن تنتظر الى
سنة ١٩٠٢ لنحصل من مواطن له ، هو العالم اللغوي الدانماركي

الاسكندنافية القديمة أو الاسلندية » ، كانت لها رغبة واحدة هي
العثور على مبدأ ومنشأ لغتهم الاصلية ، وخصوصا الجرمانية . ولذا
شاعت عند المدرسة كلمة *ursprung* وجل أعضاء هذه المدرسة
متأثرون ، من جهة أخرى - لربما بدرجة أقل من صاحب التعريف
الآتي ذكره - بالعالم الطبيعي السويدي *Linne* ، وبالعالم الفرنسي
Cuvier اللذين استطاعا في ميدان تخصصهما ، الحصول على
معلومات موضوعية ، واضعين ، في نفس الوقت ، المناهج الصالحة
لذلك ، موفقين أشد التوفيق في تصنيف الحيوانات بالمقارنة بين
مختلف أجناسها .

ومن ثم استطاع هؤلاء العلماء أن يبينوا كيف تطورت الاحياء
حتى بلغت الى الحالة التي هي عليها الآن .

استغل اللغويون هذا البيان الذي أقنعهم أن اللغة هي أيضا
جهاز عضوي مثل الاحياء لأنها مثلها تولد وتنشأ وتكبر وترعرع

Thomsen على وصف دقيق لبعض معالم شخصية Rask العلمية . الا أن الذي عرف العالم به حق تعريف هو (مواطن آخر له) العالم اللغوي الدانماركي الكبير Hjelmslev الذي خصه بدراسة عميقة ظهرت سنة ١٩٥١ تحت عنوان *Commentaire sur la vie et l'œuvre de Rask*

نجد فيها تعريفا للغة نقله Hjelmslev عن Rask قال هذا
الاخير معرفا للغة : « ان اللغة ظاهرة من ظواهر الطبيعة » وان
الدراسة اللغوية هي اقرب الى التاريخ الطبيعي . فاللغة توفر
لنا موضوعين للتأمل الفلسفي : ١- العلاقات بين الاشياء أي
النظام . ٢- بنية هذه الاشياء ، أي وظائفها . ولا يتم ذلك آليا
انما هو تطبيق للفلسفة على الطبيعة ، وأعظم انتصار لهذا
التطبيق هو أن يعيننا على معرفة النظام في الطبيعة واثبات
حقيقته . « توفي راسك سنة ١٨٣٢ .

وتكتهل ثم تشيخ وتموت تماما كما يقع للاحياء . ولهذا أدرجوا في تيار ثان (أنظر التيار الاول في ٠١ ٠٢ ٠٥) هو : « التشبيه بين اللغات والكائنات الحية » .

٠١ ٠٢ ٠٧ تعقيب على بعض ما مر

نعلم أن علماء اللغة من العرب الاقدمين توصلوا الى هذه النظرية التي اعتقد بعضنا أن الفضل في ايجادها لا يعود الا الى Linné (١٢٩) و Cuvier (١٣٠) (أنظر ٠١ ٠٢ ٠٦) وفعلوا كتب فيها علمؤنا الاقدمون ما شاء لهم أن يكتبوا ، لكن بدون أية مبالغة ، بحيث لم يشبهوا اللغة بتطور أعضاء الحيوانات والنباتات ، اذ اللغة ، في نظرهم ، متطورة فعلا ، لكن حسب ناموس آخر ، ليس هذا موضوع تفصيله . وهذه النظرية التي عمل بها علماء اللغة العرب قديما فرّع محتواها الامام السيوطي (١٣١) الى ضعيف ومنكر ومتروك من اللغات .

١٢٩ - هو Carivon Linne عالم سويدي متخصص في علوم الطبيعة .

اشتهر بتصنيفه للنباتات ولد سنة ١٧٩٧

١٣٠ - هو Baron Georges Cuvier متخصص في علوم الطبيعة ، فرنسي

الجنسية ازداد سنة ١٧٦٩ وتوفي في نفس السنة التي توفي فيها راسك أي ١٨٣٢ . مؤسس علم التشريح المقارن وعلم المستحاثات ١٣١ - ترك لنا السيوطي ترجمة عن نفسه ، موجودة الان في كتابه « حسن المحاضرة » ، الجزء الاول ، صفحة ٣٣٥ واسمه الكامل هو عبدالرحمن بن الكمال ابي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين الخضيري الاسيوطي . ازداد سنة ٨٤٩ هجرية موافق ١٤٤٥ ميلادية ونشأ في القاهرة يتيما . يظن بعض الباحثين انه ترك ٦٠٠ مصنفا . وانني لاحول أن أختتم رسالة تجمع جميع مصنفاته اذكر منها التي طبعت ، ويفوق عددها الآن ١٠٠ ، وأبين أين توجد الكتب التي ما تزال مخطوطة وستكون

فقال : « الضعيف ما انحط عن درجة الفصيح والمنكر أضعف منه ، وأقل استعمالا ، بحيث أنكره بعض أئمة اللغة . والمتروك ما كان قديما من اللغات ، ثم ترك واستعمل غيره ، وأمثلة ذلك كثيرة في كتب اللغة .

جاء في جمهرة (١٣٢) اللغة لابن دريد نقلا عن أبي عمرو بن

هذه الرسالة ديلا لكتاب السيوطي « المذهب فيما وقع في العراق من العرب » الذي أحفظه : توفي السيوطي سنة ٩١١ هجرية الموافق ١٥٠٥ ميلادية .

١٢١ - تعد « جمهرة اللغة » لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد من مشاهير كتب اللغة التي نسجت على منوال العين كما قال السيوطي في مزهره (الجزء الاول ، صفحة ٩٢ السطر الثالث) وإن طعن فيه ابن جنّي وإبراهيم بن محمد بن عرفة (نفطوية) لأسباب في نفسيهما ليس هذا مجال بسطها . . .

طبعت الجمهرة لأول مرة في حيدر آباد بالهند من سنة ١٢٤٤ إلى سنة ١٣٥٢ في ثلاث مجلدات الحق بها مجلد رابع خاص بالفهارس بتحقيق وعناية الشيخ محمد السورتى والمستشرق الألماني Fritz Krenkow الذي ولد في قرية Schoenberg بشمال ألمانيا سنة ١٢٨٩ هجرية الموافق ١٨٧٢ ميلادية والذي اتفق مع « دائرة المعارف » في حيدر آباد الدكن بالهند على أن يتولى تحقيق بعض المخطوطات العربية ويعلق عليها بما يبدو له . توفي هذا المستشرق سنة ١٣٧٢ هجرية الموافق ١٩٥٢ ميلادية ، ثم أعيد طبع الجمهرة بالانفوسيت في دار صادر بيروت لكن بدون تاريخ .

١٢٢ - سماه الامام شمس الدين أبو عبدالله الذهبي في كتابه « معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعمار » صفحة ٨٣ من الجزء الاول : أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العيان . يسميه الأصمعي زيان . ازداد سنة ٧٠ هجرية الموافق ٦٩٠ ميلادية . يعد من أئمة اللغة والادب وهو أحد القراء السبعة . وأليه انتهت الإمامة في القراءة بالبصرة . توفي بالكوفة سنة ١٥٤ هجرية الموافق ٧٧١ ميلادية .

العلاء (١٣٣) : مضنى كلام قديم قد ترك « (١٣٤) » .

وجاء في شرح المعلقات لأبي جعفر النحاس : « قال الكسائي (١٣٥) :

« محبوب من حبيت ، وكأنها لغة قد ماتت » (١٣٦)

ولقد تنبّه لهذه الظاهرة ابن فارس (١٣٧) ، فقال في باب الاسماء

الاسلامية من كتابه « الصحابي » (١٣٨) :

١٣٤ - « جمهرة اللغة » الجزء الاول ، صفحة ١٠٦ العمود الاول ،
السطر الرابع عشر .

١٣٥ - جعله الامام الذهبي السابع في الطبقة الرابعة واسمه علي بن
خمزة بن عبدالله الاسدي بالولاء ، الكوفي أبو الحسن الكسائي .
كان اماما في النحو واللغة والقراءة ، ولد في احدى قرى الكوفة .
صنف « معنى القرآن » و « المصاير » و « الحروف »
و « القراءات » و « النوادر » ومؤلف في النحو . و « ما تلحن
فيه العامة » الذي لم يذكره الاستاذ خير الدين الزركلي في الاعلام
(الجزء الخامس صفحة ٩٣ آخر العمود الثاني) رغم أن هذا الكتاب
طبع مرتين ، مرة بعناية المستشرق Carl Brokelmann
نشره في مجلة الآشوريات في مجلدها الثالث عشر من صفحة ٢٩
الى ٤٦ وثانية بعناية الاستاذ عبدالعزيز الميمني سنة ١٣٤٤ في
مجموعة تحتوي على مقالة « كلا » ، وما جاء منها في كتاب
الله لابن فارس ، ورسالة الشيخ ابن العربي الى الامام الفخر
الرازي . توفي الكسائي بالري سنة ١٨٩ هجرية موافق ٨٠٥
ميلادية .

١٣٦ - المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطي ، الجزء الاول ،
صفحة ٢١٩

١٣٧ - أنظر ترجمته في بغية الوعاة ٤١٤/١ وانباء الرواة ٩٢/١

١٣٨ - يسمى كتاب ابن فارس هذا « الصحابي في فقه اللغة وسنن
العرب في كلامها » نسبة الى صاحب بن عباد . تكفلت بنشره
لاول مرة المكتبة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٢٨ هجرية موافق
١٩١٠ ميلادية . ثم طبع مرة أخرى سنة ١٣٨٢ هجرية موافق
١٩٦٣ ميلادية في بيروت ، قامت بطبعه المكتبة اللغوية بعد أن
حققه الدكتور مصطفى الشويمي .

« كانت العرب في الجاهلية على ارث من ارث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائلكهم وقرابينهم ، فلما جاء الله تعالى بالاسلام حالت احوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع الى مواضع آخر بزيادات زیدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت ، فعفى الآخر الاول . »

ثم قال في باب آخر من كتابه الصاحبى :

« ومن الاسماء التي زالت بزوال معانيها المربع (١٣٩) والنشيطه (١٤٠) والفضول (١٤١) ولم تذكر الصفى (١٤٢) لأن الرسول (ص)

١٣٩ - للفظه المربع معنيان ، أولهما انها تدل على « المكان الذي ينبت بته » . (انظر القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزابادي ، الجزء الثالث ، صفحة ٢٥ السطر الثامن) ثانيهما أنها كانت تدل على ما كان يأخذه الرئيس في الجاهلية ، ويقدر بربع الغنيمه (انظر الصحاح لاسماعيل بن حماد الجوهري ، الجزء الثالث ، صفحة ١٢١٥ العمود الثاني ، السطر الرابع .)

١٤٠ - جاء في الصحاح الجزء الثالث العمود الثاني من صفحة ١١٦٣ السطر الحادي عشر : « النشيطه ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل البلوغ الى الموضع الذي قصدوه : لكن ابن سيده (انظر الحاشية رقم ١٣) قال : « النشيطه في الغنيمه ما أصاب الرئيس قبل أن يصير الى بيضة القوم . » (نقل هذا السيوطي في المزهـر الجزء الاول صفحة ٢٩٧ ، الحاشية رقم ١)

١٤١ - الفضول : بقايا تبقى من الغنيمه ، فلا تستقيم قسمته على الجيش لقلته وكثرة الجيش . (من حاشية المزهـر) .

١٤٢ - الصفى أن يصطفى الرئيس لنفسه شيئا كالناقة والفرس والجارية . والصفى الاسلام على تلك الحال . وقد اصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف منبه بن الحجاج يوم بدر وهو ذو الفقار ، واصطفى صفية بنت حي . (حاشية المزهـر ١ . صفحة ٢٩٧) .

سلى الله عليه وسلم قد اصطفى في بعض غزواته ، وخص بذلك ،
وزال اسم الصفى لما توفي صلى الله عليه وسلم (١٤٣)

٨٠٢٠١ التعريف الثالث

أما التعريف الثالث فانا نجده عند أكبر متحمس للتيار الثاني
(أنظر ٦٠٢٠١) وهو Wilhem von Schleicher (١٤٣) الذي كان
يطبق في بحوثه اللغوية ، الداروينية تطبيقا حرفيا .

جمع هذه الكلمات الشاعر عبدالله بن عنمة الضبي . فقال .
لك المرباع منها والصفايا * و حكمك والنشيطه والفضول
وابن عنمة الضبي هذا هو عبدالله بن عنمة بن حرنان بن ثعلبة
بن ذؤيب بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن اد
بن طانجة بن ابياس بن مضر كما جاء في خزانة البغدادي صفحة
٥٨٠ وان كانا محققا المفضليات يشكان في هذا الاسم (انظر
المفضليات صفحة ٣٧٨) . أما صاحب الاصابة فقد قال عنه انه
كان من المخضرمين . كان ابن عنمة متزوجا في بني شبان نازلا
فيهم وهو ابن اختهم . ولقد شهد القادسية . اختار المفضل
الضبي من شعره قصيدتين الاولى هائية وهي من ٢٣ بيتا توجد
في المفضليات في الصفحات ٣٧٩ و ٣٨٠ ، ٣٨١ و ٣٨٢ . والثانية
لامية من ١٧ بيتا .

١٤٣ - ذكر ابن فارس كلمات متروكة أخرى نقلها السيوطي في مزهره
ابتداء من صفحة ٣٩٧ الجزء الاول .

١٤٣ آ - ازداد سنة ١٨٢١ وتوفي سنة ١٨٦٧ . فهي حياة قصيرة للغاية
ولكنها كانت حافلة ومفيدة ورغم انه حصل على نتائج في غاية
من الاهمية كما أقول في (٧٠١٠٢٠١) فان حكم العالم اللغوي
الفرنسي Breal صائب عندما قال في المجلد الاول من
Mémoire de la société linguistique صفحة ٨٣ : « صرح مهيب

بني بقليل من السرعة » ورغم حياة قصيرة فقد خلف لنا أبحاثا
لا يستهان بها . هي : Handbuch der hitauische sprache

كان هذا اللغوي في بداية حياته العلمية مهتما بعلم النباتات ولكن سرعان ما غير الاتجاه ، فأصبح من أساطين علم اللغة .
وانني لأشير الى تعريفه من بين التعاريف الكثيرة للأسباب الآتية:
أولا : سلك دائما في بحوثه اللغوية طريقة دقيقة وصارمة .
ثانيا : استطاع أن يبرز علما صوتيا حقيقيا يتناول ، لا الحروف كما فعل علماء اللغة قبله وفي زمانه ، وانما صار يبحث تقطيع العبارة والكلمة مع تأكيد إبراز تغير نطق الاصوات .
حين نصح بهذا في حق هذا العالم ، شاهدين له بفضل السبق في إبراز هذا العلم بهذا الشكل الذي وصفنا ، فاننا نقصد بذلك العالم الغربي وما والاها ، أما ان وسعنا نطاق المقارنة بحيث جعلناها تشمل أيضا عالمنا العربي فاننا سندرك حينئذ انه كان مسبوqa الى هذه النظرية ، وهو ما سنتعرض له في فقرة قادمة (انظر ١٠٢٠٩) .
ثالثا : أمكنه لأول مرة في التاريخ أن يصل الى تحليل لغة شعبية ، غير أدبية ، هي اللغة اللتوانية (انظر الحاشية رقم ١٤٣) حللها تحليلًا وصفيًا تاريخيًا دارسًا جميع أشكالها المنطوقة (١٤٤) .

« الموجز في اللغة اللتوانية » ظهر سنتي ١٨٥٦ - ١٨٥٧ .
Laut und formenlehre der polabische sprache
« الدراسة الصوتية والصرفية للغة أقوام » Po abes الذي لم ير النور الا بعد وفاة المؤلف أي في سنة ١٨٧١ .
Linguistische Untersuchungen, die sprache Europas in Systema-
tischer Übersich

الذي طبع سنة ١٨٥٠ في برلين . وأبحاث أخرى كثيرة .
Handbuch der Litauische Sprache ١٤٤ - درسها في كتاب سماه

« الموجز في اللغة اللتوانية » الذي ظهر ، كما قلت (الحاشية رقم ١٤٣) سنتي ١٨٥٦-١٨٥٧ . وهو كتاب أثنى عليه الثناء العاطر العالم اللغوي الكبير
meillet

يمكننا ، من هنا ، أن نقول أن Schleicher كان أول لغوي في القرن التاسع عشر بحث اللغة من جانب الاستلزام القانوني وكأنه علم لغوي عام منسجم ومتكامل . ولربما فعل ذلك بطور مبالغ فيه وضوحا مما فعله Humboldt السابق الذكر . وبما أن Schleicher ينطلق من الانتصارات التي حققها عالم الطبيعة Linné (١٤٥) الذي برع في تطبيق الكائنات الحية مؤثرا بذلك كثير الأثر في اللغويين ، كما ينطلق من نظريات صنوه Cuvier (١٤٦) ومن تطبيق الداروينية على اللغات البشرية ، فانه صار يعرف اللغة كما عرفها المتأثرون بهذه الأفكار ، لكن بصيغة قطعية حاسمة .

وهكذا فان اللغة عنده « جهاز عضوي قابل للتطور » . أي أنها « ليست ظاهرة اجتماعية بل هي حادث من حوادث الطبيعة أو جهاز عضوي طبيعي » . ومن هنا شعر شعورا واضحا بضرورة فصل الدراسة الانسانية القديمة المسماة بـ « ققه اللغة » عن الدراسة اللغوية الجديدة التي كان يريد أن يطلق عليها « علوم الحنجرة » أو ال Glottik (١٤٧) .

٩٠٢٠١ ملحوظة على بعض ما جاء في التعريف الثالث

سبق أن قلنا (أنظر ٩٠٢٠١) ان Schleicher استطاع أن يبرز علما صوتيا حقيقيا يتناول ، لا الحروف ، كما فعل علماء اللغة قبله

-
- ١٤٥ - انظر الحاشية رقم ١٢٩ .
 ١٤٦ - انظر الحاشية رقم ١٣٠ .
 ١٤٧ - انظر

Historia de la linguística desde los orígenes al siglo XX

ترجمته من الفرنسية . Felice Marcos . صفحة ٢٣ . والكتاب من

تأليف الفرنسي Georges Mounin (انظر الحاشية رقم ١٢٠)

وفي زمانه ، وانما صار يبحث تقطيع العبارة والكلمة مع التأكيد على ابراز تغيير نطق الاصوات ثم عقبنا على ذلك بقولنا ان العرب سبقوا الى هذا الموضوع ودرسوه دراسة لا بأس بها . بل أنهم بالغوا في التدقيق فيه الى درجة أنهم صاروا يغيرون نطق الاصوات بأمور لا علاقة لها ، في بعض الاحيان ، بما يمكن أن يقوم حجة على تغيير الصوت .

فاذا كنا مثلاً نقبل — مع كل التحفظات — (١٤٨) أن تغليظ (١٤٩)

١٤٨ — سيجوز لنا ، ولا شك ، أن نتحفظ حتى في هذه المسائل التي قبلناها منهم — كدت أن أقول : (قبلنا منهم على مضض — اذ انه حتى في هذا اللام المفخمه التي اخترناها مثلاً شاهداً على تغيير نطق الاصوات عند العرب يسهل الطعن فيها كما سنرى . فاي فضل يبقى لهم في الموضوع ؟ أعتقد أن فضلهم كان في أنهم وضعوا قوانين اتبعوها في لغتهم ، قوانين ان نحن أمعنا النظر فيها ، وجدنا أنها ترتكز ، ان لم تكن على كثير من الصواب ، فعلى قليل منه . ألا أن هذا الاساس الذي انطلقوا منه ، اما أنه ضاع لانه آت من نطق شفوي قديم مندثر ، لا سبيل الى وصفه بالدقة العلمية المرجوة ، واما أنه مأخوذ من لغة او لهجة نعرف خصائصها ونستطيع تحديد بعض أصواتها بدقة . ان النطق الجديد على اللام في هذه الحالة الدقيقة التي تهمننا نطق عاد له ما يبرره في اللغة الاصلية او في اللهجة المنقرضة اذا اردت . واحسن مثال يمكن ان نستأنس به الآن ونطبق عليه ما قلنا هو لفظ الصلاة . فاذا كانت لامها الآن مغلظة عندنا (وسيقال لنا لانها توفرت على الشروط الموضوعية من طرف اللغويين الاقدمين) فان حركتها في لغتنا كانت ضمة طويلة في اللغة الام ، وهو تذكير وقع تعزيزه في المصحف الشريف بكتابة واو زائدة ، غير مقروءة بعد السلام المفتوحة ، فكيف تزداد واو بعد فتح ؟

١٤٩ — نعرف ان المصطلح « التغليظ » يعني ما تعنيه لفظة « التفخيم » . والتفخيم عبارة عن ربو الحرف وتسمينه وعكسهما ، هو عندنا =

اللام المفتوحة الموالية (١٥٠) لحرف من الحروف الثلاثة الطاء والظاء والصاد (١٥١) المفتوحة والساكنة القبلية ، فائنا لا نستطيع أن نقبل ، بسهولة ، في الاقل في عصرنا الحاضر ، أن تكون امالة (١٥٢) هاء

«الترقيق» . لكن علماء اللغة العرب . سيما الذين اهتموا كثيرا بالقراءات القرآنية ، وهي ادق شعبة في علم اللغة ، درجوا على تسمية « لا ترقيق » في الراء «التفخيم» . والاصل في اللام ، كما هو معلوم ، الترقيق ، لا التغليظ ، ولذا لا يرققونها الا بشروط (٨٠١٠٢٠١) .

١٥٠ - اكدوا كثيرا هذا الشرط رغم انه مفهوم من قولهم « من بعد الطاء والظاء والصاد » (انظر ذلك في « النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرا الامام نافع » شرح الشيخ ابراهيم المارغني . صفحة ١٥٢ . طبعه تونس سنة ١٣٥٤-١٩٣٥ .

١٥١ - برروا التغليظ في اللام اي « تغيير الصوت المصاحب لها نورودها بعد حروف تقتضي نهاية التفخيم لكونها مستعصية ومطبقة ، فغلظت اللام بعدها ليعمل اللسان عملا واحدا ، فتحصل المناسبة » (شرح الدرر اللوامع) . الا أنهم ، حين قرروا ذلك ، لاحظوا أن اللام لا تفخم مع حرف جمع هذه الشروط : الاطباق والاستعلاء ، وهو الصاد . فصاروا يبررون هذا الشذوذ بكون هذا الحرف لا يقترب من اللام كاقتراب الاحرف الثلاثة .

١٥٢ - ان لكل لفظ معنيين على الاقل ، معنى في اللغة ومعنى في الاصطلاح . اما في اللغة ، فاحسن تعريف استطيع أن أقدمه هو ما أورده الجعبري (ت ٧٣٢ هـ) الذي قال في كتابه « شرح حرز الاماني » (مخطوط بدار الكتب بمصر رقم ٦١٢ قراءات) : « الامالة الانحناء » .

اما في الاصطلاح ، فان معنى الامالة ، حسب ما عرفها به المبرد (ت ٢٨٥ هـ) ، لأول مرة ، لكن بتعريف ناقص في كتابه المقتضب في اللوحة ٣٤ من الجزء الثالث من مخطوط دار الكتب بمصر تحت رقم ١٥٢٥ : « الامالة أن تنحو بالالف نحو الياء . » واسميه ناقصا لانه لم يتحدث عن الفتحة التي تنحو نحو الكسرة .

وهو امر تنبه له أبو القاسم عبدالرحمان بن اسحق الزجاجي
(المتوفى سنة ٣٢٩ هـ) الذي قال : الامالة : هو ان تميل الالف
نحو الياء والفتحة نحو : الفسرة نحو قولك عالم وعابد ومساجيد
ومفاتيح وما اشبه ذلك (انظر الجمل صفحة ٣٦٣ من الطبعة
الثانية الفرنسية بتحقيق ابن أبي شبيب) .

ومن اللغويين العرب من لم يستعمل فعل « مال » لتوصيح
هذا الصوت وانما استعمل الفاظا اخرى مثل « قرب » . فعلى
ذلك مكى ابن أبي طالب حموش القيسي (ت ٣٣٧ هـ) في كتابه
التبصرة (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٣٩٢٦ ب .
ومنه في نفس الدار صورة شمسية تحت رقم ٢٠١٠٣) حين قال :
« الامالة هو تقريب الالف نحو الياء » . واضعف بعد كلام طويل
اخر : « واذا قربت الالف الى الياء في الامالة لم يكن كذلك حتى
تقرب الفتحة التي قبلها نحو الكسرة » (التبصرة اللوحة ٩٠) .
وانظر قضية الامالة في « الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح »
(نسختان خطيتان بالمكتبة الازهرية) للداني (ت ٤٤٤ هـ) وكذا
رسالة ابن الفاضل المعروفة بـ « قرة العين في الفتح
والامالة وبين اللفظتين » . مخطوط لا يكاد يخلو منه بيت بالمقرب .
وكذا مصنف « كشف قناع الوهم والخيال عن فواصل المال »
ونسب لابن غازي . وكذلك الشرح الذي أنجزه عبدالحفيظ بن
علي غنيم علي أرجوزته هو ، شرح سماه « زوال الجهالة بشرح
منظومة الامالة » وهي في أحكام الامالة على مذهب أبي عمرو
ابن العلاء البصري المازني . وايضا كتاب المستشرق الألماني
Max Grunert المسمى Die/Imala الذي ألفه سنة

١٨٧٥ ميلادية والمتكون من خمسة ابواب تصدرتها مقدمة وايضا
كتاب الدكتور عبدالفتاح اسماعيل شلبي « في الدراسات القرآنية
واللغوية ، الامالة في القراءات واللهجات العربية » المطبوع بمصر ،
طبعة ثانية سنة ١٩٧١م موافق ١٣٩١ هـ . يطلق المتقدمون من
القراء والنحاة على الامالة الالفاظ الآتية : الكسر ، البطح ،
الاضجاع ، الاشباع ، والالف المعوج واللي . وذلك الى عصر
ابن الجزري (توفي سنة ٨٣٣ هـ) الذي خصص الامالة الشديدة
بالالفاظ الآتية : المحض ، والاضجاع والبطح والكسر واطلق
على الامالة الحقيقية بين اللفظتين ، والتلطيف ، والتقليل وبين

=

التأنيث (١٥٣) وما قبلها في الوقف « من طباع العربية (١٥٤) » أو تكون على الخصوص « هي لغة الناس لا يحسنون غيرها ولا ينطقون بسواها ، يرون ذلك أخف على لسانهم وأسهل في طباعهم » (١٥٥) .

هذان المثالان اللذان أخذنا من اهتمام علماء اللغة العرب الاقدمين مأخذا كبيرا شاهدان قويان - رغم التحفظ الذي أبديناه - على أن العرب سبقوا Schleicher وغيره الى ما يظن بعض الناس أنه من ابتكاره .

١٠٠٢٠١ تعاريف التيار الثالث

لن نذكر الآن تعريفا من التيار الثالث المعروف بـ « التبعية التاريخية الدقيق والاهتمام بتقنين التطور وتعليقه » ذلك الذي يجعل

وأما التعريف العلمي الدقيق الذي اطمأن اليه فهو الذي ذكره الدكتور شبلي حين قال : « الامالة ، هي أن تقرب الفتحة قصيرة كانت أو طويلة الى الكسرة قصيرة أو طويلة كانت » (في الدراسات القرآنية واللغوية صفحة ٥١) .

١٥٣ - سيلاحظ انني أميل الحرف لا الحركة ، وقد يظهر ذا غريبا لكثير من الناس . والحقيقة أن هذا مشكل عويص لا بد له من بحث طويل ليتضح ، ولكنني أحب أن أقول ، مسرعا ، انني أفعل ذلك أسوة بعلماء اللغة الاقدمين وعلى رأسهم امام النحاة سيبويه الذي يرى دائما أن الحرف هو الذي يمال (أنظر سيبويه الجزء الاول صفحة ٢٦٦ السطر الاول و ٢٦٧ السطر ٢٢ والصفحة ٢٧٠ السطر ٢٠) .

١٥٤ - هذا الحكم نقله عنه ابن الجزري في « النشر في القراءات العشر » الجزء الثاني ، صفحة ٨٢ .

١٥٥ - هذا الحكم المطلق هو حكم الحافظ ابي الخير محمد بن محمد الدمشقي ابن الجزري (ت ٨٣٣) ، النشر في القراءات العشر ، الجزء الثاني ، صفحة ٨٢ ابتداء من السطر ٠٠٩ .

أساس البحث اللغوي التحليل التاريخي ومنهج الاستمرار لتطور عناصر اللغة ، لأنه مذهب عملي علمي يستنبط القوانين الكلية والجزئية من المشاهدة .

ولم نذكر تعريفا من هذا التيار لأسباب منها :
أولا : أن أصحاب هذا التيار من « شباب النحاة » Junggrammatik وليسوا بحال من الاحوال من « النحاة المحدثين » كما ترجم ذلك بعض الباحثين منا ، ظانين أنهم من "Neo-grammairiens"

كان أكبرهم سناً لا يتجاوز ٣٠ سنة من عمره ، ولذا لم يكن لهم الوقت الكافي ليلوروا أفكارهم في تعريفات دقيقة للغة خاصة بهم .
ثانيا : لقد تأثروا كلهم تقريبا بالكتاب الذي حول علم اللغة من علم غامض الى علم دقيق يسعى الى تفسير التغيرات المتوالية بقوانين لا غبار عليها . والكتاب الذي أقصد هو كتاب العالم اللغوي الالماني Schreier (١٨٦١) في النحو المقارن للغات الهندية - الاوربية (١٥٦) .

لقد كان لهذا الكتاب ، زيادة على التأثير الحسن الذي أحدثه في هؤلاء النحاة الشباب دور آخر هو ابراز مدرستهم الى الوجود . ثم عظمت هذه المدرسة الى درجة أن صار جل اللغويين الالماني في الثلث الاخير من القرن العشرين ينتسبون اليها (١٥٧) .

١٥٦ - يسمى هذا الكتاب
Compendium der vergleichender grammatik der indogermanischen Sprachen, kurzer Abriss einer Laut mal formenlehre der indogermanischen Ursprache.

طبع سنة ١٨٦١ ب Weimar

١٥٧ - نذكر من هؤلاء على الخصوص العالم A. Leskein واللغوي

ثالثا : كان شغل « الشباب النحاة » الشاغل هو نقض الاوهام التي سادت اللغويين في الثلثين الأولين من القرن التاسع عشر . وأهم هذه الاوهام اعتقادهم أن اللغات القديمة أشرف من اللغات الحديثة لتوفرها على أكبر عدد من الاحوال التصريفية والعلامات الاعرابية .

والذي دفع بشيوخهم الى اصدار هذه الاحكام الفاسدة التي تضحكنا الآن ، هو اعتزازهم بلغتهم وتعلقهم المفرط بها وجهلهم بلغات مهمة في العالم .

لقد حكموا مثلا على اللغة العربية بأن ليس لكلماتها أصل ونسوا أنهم انما أخذوا المصطلح « الاصل » أو « الجذر » الذي يسمونه في اللغة الالمانية بـ "Wurzel" وفي الانجليزية بـ "Root" وفي الفرنسية بـ "Racine" وفي الاسبانية بـ "Raiz" من الكلمة العربية « الجذر » وقت اطلاعهم على ما ترجم في القرن السادس عشر من كتب النحو العربي قبل أن يطلعوا على ما يشبه ذلك في نظرية الهنود .

رابعا : تمسكهم باطراد القوانين وقبولهم لكثير من العناصر الشاذة ، وهي حالة خلفتها لهم الفيلولوجية القديمة وخصوصا الفيلولوجية الانسية L'humanisme

ولم يتمسكوا بهذا الاطراد الا لاعتقادهم أنه لا يمكن أن توجد

H. Os hoff وكذا K. Brugmann وهؤلاء عملوا في مجال

علم اللغات الهندية الاوربية ثم جاء بعدهم من عمل في مجال علم اللغات السامية مثل Nöldeke و C. Brocke'mann

(انظر علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية للدكتور محمود فهمي حجازي ص ١٢٩)

صينغ خارجة عن القوانين التطورية الا لعلّة معينة . لكن هذه
العلّة - يقول هؤلاء النحاة الشباب - قد تخفى علينا ، إما لعدم
اطلاعنا على جميع أطواره وأحواله وظروفه النفسانية والاجتماعية
والفيزيولوجية ، واما لان هذه الشواذ قد تُفسر بالرجوع الى مبادئ
عقلية بحتة أو فلسفية ميتافيزيقية أو عوامل اعتباطية خيالية يصطنعها
الانسان لارضاء نزعاته الخاصة به أو بقومه .

الا أننا نعرف أن القوانين التي يخضع لها تطور الاصوات مثلا
هي قوانين مطردة لا تحتل الشذوذ غير المعلل (١٥٨)

١١ ٠٢ ٠١ تعاريف ظهرت بفضل التيار الثالث

لكن اذا جاز لنا إهمال تعريفات أصحاب التيار الثالث ، فانه من
غير المناسب ان نغفل عن ذكر الاثر العظيم الذي أحدثه « النحاة
الشباب » في اللغويين الذين أتوا بعدهم .

ويكفي أن نذكر أن العالم اللغوي الفرنسي الكبير Antoine
Meillet (١٥٩) هو من أعظم أتباع « النحاة الشباب » وأشدهم
وفاء لمبادئهم وأحرصهم على نشر أفكارهم .

١٥٨ - عبدالرحمن الحاج صالح . مدخل الى علم اللسان الحديث .
مجلة اللسانيات ، المجلد الثاني ، بتصرف .

١٥٩ - اكتملت شخصية A. Meillet (١٨٦٦-١٩٣٦) بتوجيهات

de Saussure في الوقت الذي كان هذا الاخير يلقي محاضراته
في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا من سنة ١٨٨١ الى سنة
١٨٩١ . ثم صار Meillet بعد ذلك الاستاذ اللغوي الذي
لا ينازع في مقدرته طيلة حوالي نصف قرن من الزمن في فرنسا
حيث أسس مدرسة « اللسانيات الاجتماعية » . نذكر من كتبه
التي يمكن أن يستفيد منها الباحث اللغوي :

الا أن هذه التبعية التي لها وزنها الخطير في تطور علم اللغة الحديث ، قد كان لها خلفيات معقدة ، ان تتبعنا خطوطها الرئيسية ، نستفدنا فائدة لا تقدّر بمقدار .

من المعلوم أن Antoine Meillet هذا ، المتأثر ، كما قلنا ، بما خلفه لنا « النحاة الشباب » لم يكتف بهذا ، بل انه اتصل اتصالا وثيقا ، من أجل أن يتقن دراسة اللغة بالعالم الاجتماعي الفرنسي المشهور Emile Durkheim (١٦٠) وتبنى مفهومين له ، لهما وزنها الثقيل في علم اللغة الحديث .

Linguistique historique et linguistique générale

« علم اللغة التاريخي وعلم اللغة العام » . وهو في جزأين طبع الجزء الاول منه في باريس سنة ١٩٢٦ . وطبع الجزء الثاني سنة ١٩٣٨ . ولقد أعيد طبع الجزء الثاني في Klincksieck سنة ١٩٥١ وأيضا كتابه

Introduction à l'étude comparative des langues

المطبوع بباريس ١٩٣٧ . أي سنة بعد وفاته . Indo-européennes . وانه لمن المفيد جدا الرجوع الى ما كتب Georges Mounin في كتابه Clefs pour la sériantique المطبوع بباريس سنة ١٩٧٥ ابتداء من صفحة ٧٨ الى صفحة ٩٥ حيث تحدث عن فكرة « النظام عند Meillet la notion de système chez A. Meillet

١٦٠ - عاش Durkheim ما بين ١٨٥٨ و ١٩١٧ . قام في وجه

Durkheim لا سيما مفهومه الخاص بالضغط الجماعي

Contrainte sociale العالم الاجتماعي الفرنسي G. Tarde

(١٨٤٣-١٩٠٤) الذي صار يحارب ما ذهب اليه Durkheim

من ان المحبة أو السخط أو الكراهية أو الغيرة التي يظهرها فرد لآخر ليست ظواهر اجتماعية بل انها لا تعدو أن تكون فردية

ومن أجل هذا أعدده مرحلة متطورة لرؤى « النحاة الشباب » .
أما المفهومان اللذان اعتمد عليهما Antoine Meillet فهما :

أولا : المفهوم الذي نسميه ب « التصورات الجماعية »

“représentations collectives”

ومن البديهي أن Durkheim لم يتكر هذا المفهوم لانه أقدم
منه بكثير^(١١) ، وانما كان له الفضل في وضعه في صيغته الحالية

محضة تقع بين الافراد ولا يمكن ، في نظره بحال من الاحوال ان
تعتبر ظواهر اجتماعية الا اذا اعتبرت في لحظة وحدة الجماعة
بأسرها أو بأعظم جزء منها بسبب وعي أفرادها الاجتماعي نفسه .
وعلى كل فان هذا النزاع قد أفاد كثيرا موضوعنا علم اللغة
(انظر من أجل ذلك

W. Doroszewski: Durkheim et Saussure, journal de Psychologic

ابتداء من الصفحة ٨٢ الى ٩١ من طبعة ١٩٣٣ .

١١ - ان أول من تكلم عن فكرة تقدم المجتمع على أفراده في الوجود
على أساس ان الشخص، كعنصر نفسي اجتماعي ، ووليد الاجتماع
والعمران هو ابن خلدون (ازداد سنة ٧٣٢ هـ - ١٣٣٢ م ، توفي
بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م) لكن الذي جعل من هذه الفكرة
ركنا أساسيا من أركان علم الاجتماع هو A. Comte

(١٧٩٨-١٨٥٦) الذي صرح قائلا : « ان الانسان الحقيقي
لا وجود له انما الوجود الانسانية ، حيث ان نشأتنا ونمونا كله
راجع الى المجتمع مهما كانت نظرتنا اليهما » . ولقد سبقه ، كما
قلت ابن خلدون الذي قال موضحا هذه الفكرة : « ان كيفية انتاج
الحياة المادية هي التي يتوقف عليها التطور الاجتماعي والسياسي
والثقافي للحياة بأجمعها . فليس وعي الانسان هو الذي يسبب
وجوده بل وجوده الاجتماعي هو الذي يسبب وعيه . » وسيكون
كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣) من الفكرتين المذكورتين أعلاه
فكرة لا تختلف عن سابقه الا في كونه جعل كيفية الانتاج هي
العامل الوحيد لتطور المجتمع .

وتجريدته ولفت نظر علماء اللغة الذين كانوا في زمانه لا ينظرون في اللغة الا الى الجانب الفردي - فيزيولوجيا كان أو سيكولوجيا - الى أهمية العامل الاجتماعي والى دوره الخطير في هذا الباب .

والتصورات الجماعية ، هي في اعتقاد Durkheim شيء زائد وخارج عن صفات الفرد ومكتسباته . فهي اذن قاسم مشترك بين جميع الاشخاص بسبب أنهم مجتمعون ومتعايشون ، ومن ثم فان جوهر تصرفات الفرد داخل جماعته ، كيفما كانت دوافع هذه التصرفات ومسبباتها وكيفما كانت عواطفه ومنشآت هذه العواطف ، لا تشكل ، بحال من الاحوال ، إماراة تميزه عن الافراد الآخرين ، ولا سمة يتسم بها دون غيره من الناس .

وانه لمن الانصاف أن ننصّ هنا على أن Durkheim هذا لم يكن له هنا أيضا الفضل كل الفضل في ابراز هذه الافكار اذ أن كثيرا من الناس سبقوه اليها ولكن كان له الشرف الكبير في التنبيه على أن هذه الامور سابقة على وجود الفرد وخارجة عنه ، وستبقى وان ذهب ، وهي ، زيادة على هذا وذاك جبرية لا يملك الا أن يتقبلها ، راضيا أو مكرها ، والا نبذه مجتمعه وطرده .

ثانيا : المفهوم الذي نسميه بـ « الوعي الجماعي »
"Conscience collective"

تبني ، كما قلت أعلاه Antoine Meillet هذين المفهومين مضيفا اليهما ، زيادة على مبادئ النحاة الشباب جانبا نفسانيا للغة ، لكن مغلباً - كما هو معلوم - الجانب الاجتماعي .

يتضح لنا كل هذا في مقال نستخرج منه التعريف الرابع .

١٢٠٢٠١ التعريف الرابع

قال Meillet في هذا المقال الذي عنوانه *Comment les mots changent de sens* « كيف تتحول معاني الكلمات » : ان اللغة حدث اجتماعي بالدرجة الاولى ، وبالفعل فان تحديدها يناسب تماما التحديد الذي اقترحه Durkheim : فللغة وجود مستقل عن وجود كل واحد من الاشخاص الذين ينطقون بها رغم انه ليس لها أي وجود في خارج المجموعة التي يتكون منها هؤلاء الاشخاص (١٦٢) ، فانها مع ذلك ، وبسبب شموليتها ، خارجة عن كل واحد منهم . والدليل على ذلك هو أنه ليس في وسع أي واحد منهم أن يغيرها وأن كل تفسير فردي للاستعمال يحدث رد فعل : وأغلب ما يكون الجزاء في هذا الرد السخرية التي يتعرض لها كل انسان لا يكون كلامه مثل كلام الناس . . فالصیغتان اللتان حدد بهما Durkheim الحدث الاجتماعي أي وجوده خارج الفرد وقسريته ظاهرتان في اللغة ظهوراً بيّناً . . . (١٦٣)

١٣٠٢٠٠ التعريف الخامس

أما التعريف الخامس ، فهو التعريف الذي أطلقه عليها العالم اللغوي William D. Whitney (١٦٣) ٢ .

قال هذا العالم اللغوي الأمريكي معرّفاً اللغة : « أنها ليست قوة

١٦٢ - يكون ما جعلنا تحته سطوراً تعريفاً للغة من الوجهة الدوركايمية وحسب المفهومين المذكورين (١٢٠٢٠١) .

١٦٣ - عبدالرحمن الحاج صالح . مجلة اللسانيات المجلد الثاني : صفحة ٣٦ .

١٦٣ آ - هو William Dwight Whitney ازداد سنة ١٨٢٧ .

١. انظر ترجمته بتفصيل في كتاب *Linguistique du XXe siècle*

٢. Georges Mounin (صفحة ١٥) .

من قوة النفس ، ولا هي فعل الفكر المباشر ، بل أثر غير مباشر لهذا الفكر : انها آلة »

يظهر بوضوح من هذا التعريف أن وتني يحاول أن يرد على فكرة العالم الالماني السابق الذكر Humboldt الذي كان يرى ، كما سبق أن ذكرنا (أنظر ٠١ ٠٢ ٠١) أن للانسان قوة باطنية Inner Kraft فطّر عليها دون الحيوانات الاخرى تجعله قادرا على التفكير والتعبير بالكلام في الوقت نفسه . فالانسان واللغة اذن ، في نظر هومبولت ، اعتمادا على هذا الاعتقاد ، خرجا الى الوجود معا .

ويحرص Whitney أشدّ الحرص على أن يبين للناس أن هذه الآلة ليست منحصرة في الصوت المقطع وحده ، لان هذا العنصر الاساس في اللغة ، هو من بعض الوجوه ، ماديّ وفيزيائيّ ، بل ان الصوت ، عنده ، دال على معنى من معاني الفكر ، فاللغة هي اذن نظام Système من الاصوات ، ذو مضمون معقول ، وهي تشبه بذلك ، أي بكونها نظاما ، الاجسام المنتظمة الاجزاء ذوات البنية Structure المعينة (١٦٤) . فاللغة عنده اذن هي قبل كل شيء وسيلة للتبليغ والتخاطب بين الناس ، والالفاظ ، كما يراها Whitney هي بالنسبة الى ذهن الانسان كالأدوات بالنسبة الى يديه ، معارضا بذلك كما سبق أن أوضحت هومبولت الذي يرى أن للانسان قوة باطنية Innere Kraft فطّر عليها تجعله قادرا على التفكير وعلى

١٦٤- أنظر كتابه The Life and Growth of language

في طبعته الاولى نيويورك سنة ١٨٧٦ . الصفحتان ٤٩ و ٥٠ .
أنظر ترجمته الفرنسية « la vie du langage » المطبوع في

باريس ب Baillere سنة ١٨٧٧ .

التعبير بالكلام في الوقت نفسه . وان الانسان واللغة خرجا الى الوجود معا ، حسب رأي هومبولت .

نستطيع ، مما سبق أن قلناه في هذا التعريف الخامس ، أن نستنتج ثلاثة أمور .

١٤٠٢٠١ الاستنتاج الاول

نرى بوضوح أن Whitney يحدد هنا ، ولاول مرة في تاريخ علوم اللغة مضمون هذا العلم الذي يحرص شديد الحرص على جعله لغويا محضا مبعدا عن ساحته :

أولا : المتخصص الفيزيائي الذي يبحث في علم الاصوات .

ثانيا : المتخصص الفيلولوجي الذي يدرس النصوص القديمة والنقوش ويضع لها الشروح المساعدة على فهمها .

ثالثا : المتخصص الفيزيولوجي الذي يدرس علم وظائف الاعضاء

رابعا : المتخصص النفسي الذي يدرس علم النفس اللغوي في عصرنا الحاضر .

خامسا : المتخصص الاثنولوجي الذي يدرس خصائص الشعوب

والجماعات . وهو بهذا يجعل علم اللغة يضيق ضيقا مفرطا

بحيث لا يبقى له الا المظهر اللغوي المحض الذي يتشعب الى

ثلاث مستويات : وضع ، وبنية ، وصورة .

١٥٠٢٠١ الاستنتاج الثاني

ان هذه الافكار التي أثارها هومبولت وتصدى لها وتني بالنقد

والتحليل قد تعرض لها قبلهما ، وبشكل علمي دقيق ، علماء اللغة

المغاربة قديما . كان على رأس هؤلاء العلماء المغاربة النحوي المغربي

أبو موسى الجزولي المتوفى سنة ٦٠٦ أو ٦٠٧ هجرية (١٦٥) الذي أجاد

١٦٥ - توفي بمراش في العراق العباس بن ابراهيم في كتابه « الاعدام من حل مراش وعمات من الاعدام » انه لادم عبدالله بن بري بمصر (صاحب الحواشي المشهورة على العرب للجواليقي مخطوط بالاسكوريال رقم ٧٧١) كان الجزولي اماما في العربية . لما انه تصدر بلاغرا بالمرية وولي خطابه المراش . عاش وقتا بمراش مع امام علماء اللغة بالاندلس ابي علي بن الشلوبين (انظر الحاشية رقم ١٦٦) . في عهد المنصور الموحي . يعتقد المرحوم العباس بن ابراهيم ان ابا علي بن الشلوبين غادر مراش الى اسبانية بسبب تفوق الجزولي عليه في علوم اللغة . صنف في النحو كتابا أسماه « القانون » اعتنى به كثير من الناس فشرحوه . يقول ابن خلكان عن هذا الكتاب : « أنا لا أعرف هذه المقدمة » (يقصد انه لا يفهمها فيها) وما يلزم من كوني ما أعرفها ان لا أعرف النحو » على الاستاذ عبدالله كنون على هذا الكلام فقال : « وفي هذا الكلام مبالغة لعل الحامل عليها هو هذه الصياغة المنطقية التي صيغت بها المقدمة (القانون) من الحدود والتعاريف والقضايا الكلية التي تنطبق على الاحكام الجزئية ومهامته في الفاظ قليلة ، ومن ثم قال فيها مجدالدين بن ظهير الاربلي منوها بهذه الظاهرة التي كانت سبب التحامل عليها من هؤلاء . »

مقدمة في النحو ذات نتيجة تناهت فاغنت عن مقدمة أخرى حبانها بحر من العلم زاخر ولا عجب للبحر ان يقذف الدرا وتسمى المقدمة أيضا بالكراسة والقانون والاعتماد . (النبوغ المغربي في الادب العربي ، صفحة ١٥٢ من الجزء الاول) من كتبه المقدمة في النحو ، وله شرح عليها . كما انه ترك لنا الامالي وشرح أصول ابن السراج ومختصر الفسر لابن بني في شرح ديوان المتنبي ، كما أن له شرحا على قصيدة بانث سعاد (مطبوع) وشرح القانون أبو العباس الشريشي السلوي زيادة على الشلوبيني (الحاشية رقم ١٦٦) .

ومن علماء اللغة المغاربة الذين خدموا اللغة العربية خدمة لا تنسى نذكر الامام زين الدين ابا زكريا يحيى بن معط تلميذ الجزولي المتقدم الذكر . له الفية في النحو وهو الذي نظم جمهرة

الجواب عن هذا السؤال : « هل وضع الواضع المفردات والمركبات الاسنادية أو المفردات خاصة دون المركبات ؟ » مهتديا في جوابه الى حواب قلّ نظيره . نجد الجواب عن هذا وبحوثا لغوية أخرى . لا تقل أهمية عنها في مقدمته المسماة بـ « القانون » . وهي مقدمة شرحها العالم اللغوي الاشبيلي الشلوبني^(١٦٦) في مؤلف سماه « شرح

ابن دريد وترغ في نظم الصحاح لنجوهري . مات سنة ٦٢٨ هجرية . ومنهم أيضا ابن رشيد (توفي بفاس سنة ٧٢١ هـ) . صاحب شرح كتاب سيبويه . وأبو عبدالله بن ابراهيم توفي بفاس سنة ٧٢٢ هـ . وأبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي . المعروف بابن البناء العددي (توفي بمراكش سنة ٨٢١ هـ) . له الكليات النحوية . وأبو زيد عبدالرحمن بن عبي بن صالح المكودي الفامي (توفي عام ٨٠٧ هجرية) له الشرح المشهور الذي يحمل اسمه على الالفية ، وله شرح الاجرومية . وله التعريف في علم التصريف وشرح المقصور والممدود . وللدقون المتوفى سنة ٩٢١ هجرية شرح على جمل النرجاجي . (أنظر آخرين في اللسان العربي وهي مجلة دورية يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي في مقال لمدير هذه المجلة تحت عنوان « اللغويون أو علماء العربية في المغرب » . صفحة ٣٠٤ ، المجلد العاشر ، الجزء الثالث .)

١٦٦ - هو أبو محمد بن عبدالله الأزدي الشلوبني أو الشلوبين من كبار علماء النحو واللغة ولد بأشبيلية عام ٥٦٢ هجرية (١١٦٦ م) وتوفي بها عام ٦٤٥ هجرية (١٢٤٧ م) . له شرحان على المقدمة انجزولية ، كبير وصغير . له أيضا تعليق على كتاب سيبويه . والشلوبني نسبة الى حصن « الشلوبين » أو « شلوبينية » بجنوب الاندلس يسميه الاسبان Salobrena . ترك كتابا سماه « القوانين » وهو في علم اللغة . وقد اختصره في مؤلف عنوانه بـ « التوطئة » . وله أيضا « شرح المقدمة الجزولية » (أنظر الحاشية رقم ١٦٧) جعله كبيرا وصغيرا على عادة القدماء كما ترك لنا « تعليقا على كتاب سيبويه » شأنه في هذا شأن جل معاصرين من اللغويين .

المقدمة الجزولية » الذي توجد ثلاث نسخ منه في الاسكوريال (١٦٧) .

ولقد كان فضل الجزولي في توضيح هذه الفكرة عظيما اذ لم يستند عناصرها ، كما قد يتبادر الى ذهن بعض الناس من شيخه ابن بري (١٦٨) ، ما دام هذا الاخير لم يحط الاحاطة الكلية بهذا المبدأ في يوم ما من أيام حياته ، حتى يجوز أن نقول انه أورثه تلميذه كما اعتقد أن الجزولي هو الذي أوحى لابن أجروم (١٦٩) قوله : « الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع » ولا يستبعد أن يكون ابن المعطي النحوي (١٧٠) قد أخذ هذه الفكرة اللغوية العظيمة عنه أيضا اذ أنه التقى

١٦٠ - يوجد هذا الشرح في الاسكوريال تحت الارقام الآتية : ٢ ، ١٦ ، ١٩٠ .

١٦٨ - هو عبدالله بن بري بن عبد الجبار المقدمي ، المصري الاصل ، عالم من علماء اللغة البارزين ولد بمصر عام ٤٩٩ هجرية (١١٠٦ ميلادية) ومات بها سنة ٥٨٢ هجرية (١١٨٧ م) له من المصنفات التي طبعت حتى الآن « الرد على ابن الخشاب » و « غلط الضعفاء من الفقهاء » وأما كتبه التي لا زالت مخطوطة « شرح شواهد الايضاح » في النحو ، و « حواش على صحاح الجوهرى » و « حواش على درة الغواص للحريري » و « حواش على العرب للجوالقي » .

١٦٩ - هو أبو عبدالله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الفاسي المعروف بابن أجروم النحوي المقرئ الشهير . ولد عام ٦٧٢ هـ . وتوفي بفاس سنة ٧٢٣ هجرية ، ١٣٢٢ م . له زيادة على المقدمة في النحو شرح على حرز الاماني للشاطبي ونظم في قراءة نافع سماه البارع .

١٧٠ - هو يحيى بن عبد المعطي بن عبدالنور الزواوي نسبة الى قبيلة زواوة . سكن دمشق زمنا . سافر الى القاهرة حيث درس بها وتوفي سنة ٦٢٨ هجرية (١٢٣١ م) . له « الالفية في علم العربية » (أنظر ١٤٠١٠٢٠١) وهذا كتاب مطبوع متداول . كما طبعت

=

به في مدينة الجزائر وأخذ العلم عنه . كما أخذ هذه الفكرة أيضا ابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هجرية ، ثم بعدهم العالم اللغوي الاندلسي أبو حيان الغرناطي المتوفى سنة ٧٤٥ هجرية ، وعن ابن المعطى أخذها العالم اللغوي ابن مالك وأثبتها في صدر ألفيته التي يقول فيها :

وأستعين الله في ألفية	مقاصد النحو بها محوية
تقرب الاقصى بلفظ موجز	وتبسط البذل بوعد منجز
وتقتضي رضا بغير سخط	فائقة ألفية ابن معط

١٦٠٢٠١ الاستنتاج الثالث

ان الفكرة التي عارض بها Whitney العالم الالماني Hombo.dt هي التي هيات في أمريكا وفي أوروبا ما نسميه بـ « النظم » الذي يعتبر أن لا قيمة للالفاظ ، كوحداث ، الا في علاقة بعضها ببعض ، وأن استقلالها يكاد يكون منعدما . وهذا النظم مجزأ ، كما هو معلوم ، الى عنصرين عبر عنهما Vendryes تعبيرا واضحا حين قال : « تنتظم كل جملة نوعين من العناصر المتميزة : أولا التعبير عن عدد من المعاني التي تمثل أفكارا ، وثانيا الاشارة الى بعض العلاقات التي بين الافكار . » (١٧٠) آ

مع ترجمة هولندية وله « الفصول الخمسون » لا زال مخطوطا و « البديع في صناعة الشعر » مخطوط كذلك . وله مما لا اعرف له وجودا « العقود والقوانين » ويقال انه في النحو و « أرجوزة في القراءات السبع » (انظر كذلك الحاشية رقم ١٦٥) .

١٧٠ آ - انظر هذا في كتابه « البأفة » ترجمة عبد الحميد السواخلي ومحمد القصاص ، طبعة الانجلو ١٩٥٠ ، صفحة ١٠٤

اما الاستنتاج الذي يمكن أن نستنتجه نحن الآن من هذا ، هو أن علماء اللغة العرب ، قد سبقوا ، مرة أخرى ، غيرهم الى التعبير عن هذه الفكرة . قال عبدالقاهر الجرجاني (١٧١) : « اعلم انك اذا رجعت الى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك : أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلّق بعضها ببعض ، ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك . هذا ما لا يجهله عاقل ، ولا يخفى على احد من الناس . واذا كان كذلك فعلينا أن ننظر الى التعليق فيها والبناء ، وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبها : ما معناه وما محصوله . واذا نظرنا في ذلك علمنا ألا محصول لها غير أن تعمد الى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا ، أو تعمد الى اسمين فتجعل احدهما خبرا عن الآخر ، أو تتبع الاسم اسما ، على أن يكون الثاني صفة للاول ، أو تأكيدا له ، أو بدلا منه ، أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون الثاني صفة أو حالا أو تمييزا ، أو تتوخى من كلامه هو لاثبات معنى أن يصير ثانيا أو استفهاما أو تمنيا ، فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك ، أو تريد في فعلين أن تجعل احدهما شرطا في الآخر ، فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى أو بعد اسم من الاسماء التي ضُمّت معنى ذلك الحرف ، وعلى هذا القياس . » (١٧٢)

١٧١ - عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني ، أبو بكر عالم لغوي كبير وامام من أئمة أصول البلاغة . من كتبه المطبوعة ، الكثيرة التداول : « اسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » و « اعجاز القرآن » و « العوامل المئة » . اما مصنفاته التي لا زالت مخطوطة فهي : « الجمل » وهو في النحو . و « المغني » شرح به « الايضاح » و « المقتصد » اختصر به المغني السابق الذكر . توفي عام ٤٧١ هجرية (١٠٧٨ ميلادية)

١٧٢ - عبدالقاهر الجرجاني في « دلائل الاعجاز » الصفحتان ٤٤-٤٥ .

إذا كان « النظم » هو المهم كما يفهم من كلام الجرجاني . وإذا كان لا بد أن ينظر إلى « البناء » لا إلى الالفاظ مجردة ان أردنا فهم ما يقول القائل ، فانه يجوز لنا أن نقول ، وبكل تأكيد : ان اللغة لا تقول نفس الشيء أبدا لان التغييرات التي تقع داخل البنيات تبرز في كل لحظة وحين ، وانه يوجد على مستوى البنية جوانب مقبولة لدى الجميع . ومن هنا حق لنا أن نصرح من غير تردد : انه يكاد يكون من المستحيل ايجاد جمل جامدة ، مسبوكة على نسط واحد ودالة على معنى واحد في ذات الوقت وفي كل حين .

واذن ، اذا كان كل فرد منا ، يعبر عن بلاغ شخصي . حين يتكلم ، فإين الرابط الذي يربط بين الموضوعية التي تجعل كل متكلم مفهومًا من الجميع وبين الذاتية التي تجعل كل متحدث يعبر عن نفسه في اللغة وبواسطتها ؟ ذلك أن الكلام نظام ، نظام اللغة ونظام الاشياء التي يدل عليها ، أي نظام العلاقات التي تحددها اللغة بين رجل وآخر . و « البنية القاعدية » Infrastructure هي التي تدفع به في الأخير إلى أن يقول بنظام العلاقات هذه ، مع أن اللغة سابقة عليه (١٧٣) .

واللغة تؤكد وتنفي في نفس الوقت ، لكن الذي تنفيه هو في الحقيقة أهم مما تؤكد ، اذا ما اعتبر أن كل شيء ما هو الا موقف من مواقف المعنى المضاد .

يعوض علم اللغة المنطقي ، سواء في الايجاب أو النفي المنجزين في أشد اتصاليهما الأزواج المتضادة ، نعم/لا ، التشابه/الاختلاف .

وكأنها مفصلة ، وكأن بعضها يحيل على البعض الآخر في نفس الوقت .

لا يكون ، على هذا ، للفظ نفس المعنى أبدا ، ومن هنا يقول علماء اللغة أن كل خطاب هو سلسلة من التغيرات انطلاقا من المواد اللغوية (١٧٤) .

١٨ ٠٢ ٠١ عود الى صاحب التعريف الخامس

أما إن عدنا الى صاحب التعريف الذي تحدث عنه ، وهو العالم اللغوي الأمريكي Whitney ولا حظنا أنه لم يصل الى عمق تفكير Humboldt ولم يكن له سعة اطلاعه ، فاننا لن تتعدى الحقيقة ان قلنا إنه يعد من المؤسسين العظام لعلم اللغة البنيوي الحديث . ويكفي حجة على ذلك أن نذكر أنه ألهم ، بفضل آرائه الصائبة في هذا الباب عالين بارزين في هذا الفن هما Ferdinand de Saussure السويسري و Bloomfield الأمريكي .

ونعتقد أن Whitney قام يحارب ذلك التيار الثاني الذي عنوانه بـ « التشبيه بين اللغات والكائنات الحية » (١٩٠٢) اذ رأى فيه انحرافا خطيرا يصيب في الصميم ما كان يراه « العقيدة السليمة » . فلم يقبل ، كما قبل صاحب التعريف الثالث Wilhelm Schiecher (١٩٠٢) أن تكون اللغة ظاهرة من الظواهر البيولوجية فحسب ، ورفض رفضا قاطعا أن يدرج علم اللغة تحت حكم العلوم الطبيعية كما هو الشأن عند أصحاب التيار الثاني . وهكذا كفر بما آمن به Schleicher الذي كان يعتقد أن تطور اللغة ناتج عن تغير في ذهنية

الامة وتطورها ، لانه كان يؤمن ايمانا لا يخامره شك بأن تطورها هو نتيجة « لاحداث الزمن » ومن ثمة ، فهي « ظاهرة تاريخية منفصلة » .

١٩٠٢٠١ . التعريف السادس

لو كنا بصدد تحديد كلمة « لغة » لذاتها ، لجعلنا تعريف Roman Jakobson من التعاريف الاولى التي يمكن أن ننطلق منها لدراسة هذه الظاهرة الانسانية العظيمة . ولكننا ، ونحن بصدد محاولة الدخول في أمر نشأة اللغة ، فضلنا أن نبدأ بتعاريف العلماء الذين انشغلوا بأمور ظهور اللغة ولم يأتوا بتعاريف لها الا عرضا ومن أجل الوصول الى غاية أخرى جعلوها هدفهم الاسمي . وكانت هذه الغاية عندهم الوصول الى اللغة الام ، اللغة الاصلية Ursprache

أما Roman Jakobson فهو من طراز آخر، ومن غير زمن هؤلاء الذين نعرضنا لتعاريفهم . انه من عصر تقدم فيه علم اللغة خطوات جسارة لم يبق معها الوقوف عند تحديد كلمة « لغة » أمرا ذا بال ، اذ صار البحث في أجزاء الكلمة وفي أقسام الجملة وفي العلاقات بين هذه الأجزاء وهذه الأقسام قضية خطيرة تشغل البال وتؤجج العواطف ، وتكثر بسببها الخطب الحماسية في المؤتمرات ، ويسيل من أجلاها على صفحات المجلات المتخصصة المداد مدرارا .

و Roman Jakobson هذا ، المزداد (المولود) بموسكو سنة

١٨٩٦ والمتخرج في جامعة براغ Prague سنة ١٩٣٠ ، المتبع عن كتب الحياة الفنية ، لا سيما ما يتعلق منها بالفن التكعبي والمستقبلي Futurisme المتأثر جدا — بعد أن انتقل عن الصورية — بما يسمى

بـ « البنيوية » وبمنشئها كـ Picasso و Joyce

أخذ من أحد أعمدة البنيوية قوله جعلها خطة لنشاطه اللغوي ، قوله
ضمنها في كتابه Selected Writings المطبوع في لهاي سنة ١٩٦٢ ،
وهي موجودة في جزء منه سماه بـ Retrospect صفحة ٦٣٢ •

هذه القول التي اقتبسها من منشئ الفن البنيوي وطبقها على
اللغة ، نجعل منها نحن التعريف السادس • قال : « اني لا أومن
بالاشياء ، ولكن بالعلاقات بين الاشياء » •

يترتب على موقف Roman Jakobson هذا أمران :

أولهما : ان Roman Jakobson شغل دورا بالغ الاهمية في توليد
المدرسة الصورية السوفياتية Formaliste الذائعة الصيت التي أنجبت
لنا ، من بين ما أنجبت من أعمال تذكر فتشكر ، دراسة متينة ودقيقة
للغة الشعرية (١٧٤) ٢ •

هذا التجاوب بينه وبين الصوريين السوفيت هو الذي دفع به
الى الكتابة عن Maiakovsky (١٩٣٠) وعن Pouchkine
(١٩٣٥) كما دفع به أيضا الى الكتابة عن الشعراء التشيكيين Erben
(١٩٣٦) و Macha (١٩٣٨) •

الا أنه — في الاقل في الميدان الذي يهنا نحن ، وهو النشاط
الفيلولوجي — بدأ يتحول شيئا فشيئا عن الصورية (Formalisme)
التي لا تهتم الا بالتقنيات الأدبية ليعتنق البنيوية أخيرا •

ان كلامه في هذا الصدد (أي حينما اعتنق البنيوية) وان أتى

١٧٤ ٢ — Essai de linguistique générale Roman Jakobson

ترجمه الى اللغة الفرنسية Nicolas Ruwet المقدمة ، صفحة ٨

مختصرا ، موجزا ، مقتضبا جدا ، فهو ينبئنا بما سيكون البحث اللغوي عنده . قال من بين ما قال :

« ان التاريخ الادبي لمربط أشد الارتباط « بالانواع » التاريخية الاخرى ، وكل نوع منها يمتاز بقوانين بنيوية خاصة . وانه ليستحيل أن يقع الربط - خارج دراسة هذه القوانين - بين « أنواع » الادب ومجموعات الظواهر الثقافية الاخرى . فحين ندرس نظام الانظمة وفهم القوانين الداخلية لكل نظام نرتكب خطأ منهجيا فادحا . »

يعطينا هنا بهذه الكلمات القلائل ، النقط الرئيسية لما ستكون عليه برامج الاتروبولوجية (Anthropologie) (١٧٥) في المستقبل

ثانيهما : ان التعريف الذي أتى به Roman Jakobson والذي طبقناه على اللغة في نطاق المذهب البنيوي الذي آمن به ليأخذ منطلقه، ولا شك ، من بحوث العالم اللغوي السويسري Ferdinand de

١٧٥ - يجمل بنا ان نعرف في هذا المدخل على الاقل أسماء المذاهب التي اهتمت باللغة وبعض اقطابها . هناك الاجتماع - اللغوي مع Melnet و Sommerfeldt وعلم البيان مع Baliy

و علم اللغة النفسي مع Secheaye ثم الوظائفيون مع Frei و Martinet ، فالقننون الايطاليون مع Develo و Nenciani فعلماء الاصوات البنيويون مع Karcevskey و Trubeckoj و Jakobson فعلم اللغة الرياضي مع Herdan Mandelbrot وعلم الدلالة مع Ullmann و Proto و Trier فعلم النفس اللغوي (وهو غير علم اللغة النفسي) مع Presson و Osgood والمؤرخيون (لا اقصسد المؤرخون وانما اعبر عن Historiciste مع Pagliaro و Coseriu

Saussure أول لغوي (١٧٦) تجرباً على تقديم دروس في علم اللغة العام لطلبة في كلية وهي دروس نشرها بعده على العموم تلامذته سنة ١٩١٦ تحت عنوان « دروس في علم اللغة العام »
"Cours de linguistique generale"

٢٠٠٢٠١ التعريف السابع

قال de Saussure معرفا اللغة ، باسطة نظره في هذا التعريف :
« ان اللغة ، وهي ما هي ، فمن أين نظرنا اليها ، لن نجد فيها
بسيطاً ، اذ دائماً ، وفي كل مكان نرى هذا التوازن المعقد للالفاظ
المتحاكمة . فاللغة صيغة وليست جوهرًا » .

١٧٦ - ولد F. de Saussure يوم ٢٦/١ نوفمبر ١٨/١٠ درس في ثانوية
Hotwyl حيث تعلم على يد استاذة Pictet

تعلم الاغريقية والفرنسية والالمانية والانجليزية زيادة على اللاتينية .
قرر أن يؤلف « نظاماً عاماً للغة » فأنتهى في سنة ١٨٧٢ جزءاً
سماه « نظرة على اللغات » الذي وجهه الى استاذة Pictet .
كانت الفكرة الرئيسية في هذا الكتاب ، أنه يمكن ابتداء من أية
لغة أن يصل الباحث الى الجذور الثنائية والثلاثية شريطة أن
يضع :

$t = d = th$ و $k = q = ch$ $p = b = f = v$.

شجعه Pictet على المضي في هذا الاتجاه لكنه نصحه بالابتعاد
عن محاولة تطبيق نظرياته هذه على « كل نظام عالمي للغة » .
وبعد موت Pictet سنة ١٨٧٨ ، ظهرت الطبعة الثانية لكتابه
Origines Indo-europeennes. Essai de paleontologie linguistique.

فكتب نقداً عليه نشره في جريدة «جونيف» يوم ٢١ ابريل ١٨٧٨ .
وهو نقد يبين بوضوح أن de Saussure أصبح «رجل الاسس»
كما نعته Benveniste

يظهر ان حب «المقابلة» أضحى مغروساً فيه لا بسبب عادة
فطرية فقط وانما ايضاً بقرابة سلفية ثقافية .

ول De Saussure هذا يرجع الفضل في ضبط بعض المصطلحات التي يحتاج اليها كل باحث في نشأة اللغة . ذلك أنه فرق بين الدراسة الحركية للغة التي سماها Diachronique (Evolution, dynamique, historique) وهو النشاط اللغوي الذي يهتم بوصف لغة ما خلال تطورها التاريخي عبر مختلف عصورها .

فاذا أردنا أن نعطي مثالا تطبيقيا لما يهنا نحن في هذا الفصل ، قلنا ان الدراسة الحركية العربية هي تلك الدراسة التي ستبحث في نصوص قديمة للغة العربية من أمثال ما هو موجود الآن في كتب الاقدمين كديوان المفضليات وأخبار النوابغ وآثارهم في الجاهلية وصدر الاسلام وأشعار هذيل ونصوص أخرى قديمة صاعدة مع التاريخ ما صعد الى يومنا هذا .

وقد يقتصر جهدنا على حقبة معينة أقصر من هذه التي سبقت . كأن نقوم بدراسة حركية للغة العربية طيلة المدة التي عاش فيها الرسول (ص) وما بعدها بقليل أو كثير فندرس مثلا الرسالة التي بعث بها الى المقوقس ، والتي بعث بها الى المنذر ابن ساوى وما شابههما من النصوص التي أنشئت في هذه الفترة وفي الزمن القليل الذي تلاها، ندرس اللغة فيهما من حيث تغيرها من فترة الى أخرى .

أقول فرق De Saussure بين الدراسة الحركية (١٧٧) للغة وبين الدراسة السكونية Synchronique التي تهتم بوصف « حالة » معينة من اللغة في فترة ما .

١٧٧ - بدأ سنة ١٨٧٤ يدرس اللغة السنسكريتية في كتاب Bopp (انظر ٢٠-١٠١) والهامش ١٢٥) الذي عثر عليه في الخزانة

فاذا ما طبقنا هذا على اللغة العربية زمن ما قبل الجاهلية - وأقصد قبل زمن امرئ القيس - (وهذا النوع من النشاط اللغوي صالح جدا ليطبق أيضا على لغة ميتة) لنقوم بدراسة سكونية للغة العربية القديمة ، اهتمامنا بتحليل مجموعة من النقوش القديمة الممثلة لمرحلة ما من حالة اللغة العربية في عصر من عصورها القديمة ، كأن ندرس نقوشا صفوية أو ثمودية أو لحianaة أو سبئية أو نبطية اذا أردنا أن نعرف « حالة » اللغة العربية القديمة في كل حقبة من حقبتها على حدة .

ومعلوم أن ميزة هذا النوع من الدراسة ، في أيامنا هذه تتطلب

العامّة لعاصمة بلجيكة ، ثم بدأ في سنة ١٨٧٥ يدرس ، حسب ارادة أبويه الفيزياء والكيمياء بجامعة جوفيف . لكنه لم يكن ليهتم الا باللغة . وفي سنة ١٩٠٥ تولى تدريس « علم اللغة المقارن » خلفا على هذا الكرسي الاسستاذ Wertheimer ولم يكن De Saussuer اجنبيا عن هذه المادة التي يهواها . لقد سبق أن نشر سنة ١٨٧٧ كتيباً صغيراً تحت عنوان « علم اللغة » وهو الخطاب الذي ألقاه في افتتاح دروس علم اللغة . أصبح في ربيع ١٨٧٦ عضواً في جمعية اللغويين بباريس التي انشئت حديثاً . وبهذه الصفة التحق كطالب في الفلسفة في الجامعة الألمانية الشهيرة Lespzig وبدأ يدرس فيها ، برضى الجمعية بحثاً تحت عنوان Le suffixe T. ثم بحثاً آخر تحت عنوان Sur une classe De verbes latins en eo

نشرا في مجلة الجمعية الصادرة سنة ١٨٧٧ الصفحات ٢٢٩ الى ٣٦٩ ، ثم بحثاً ثالثاً سماه

La transformation latine de tt en as suppose t-elle un intermédiaire st.?

وأخيراً بحثاً رابعاً تحت عنوان

Essai d'une distinction des différents "a" indo-européens.

لكن أكبر بحث أنجزه De Saussure هو في نظري Le memoire sur le

système primitif des voyelles dans les langues indo européennes.

ألا تعد الاعتبارات التاريخية ملائمة لدراسة « حالات » اللغة المزمع تحديدها مؤقتاً .

وليوضح أكثر هذا المبدأ ، أعطى Ferdinand de Saussure مثالا تطبيقيا حيا بلعبة الشطرنج .

إن حالة رقعة الشطرنج تختلف باستمرار ، أي تتغير حالتها بعد كل تحويل لقطعتين من قطعه أثناء اللعب .

ولكنه ، مع ذلك ، يمكن للملاحظ ، كما يمكن لكل لاعب أن يصف حالة اللعب بتمامه انطلاقا من مكان كل قطعة على رقعة الشطرنج . وليس من المهم انطلاقا أن نعرف كيف وصل المتباريان الى حالة خاصة من اللعب ، فإن نسأل مثلا بعد كم تحريكات ، وما هي نوع التحريكات ، وفي أي نظام أو اتجاه وقع تحويل القطع ، ما دمنا نستطيع أن نصف الحالة الحاضرة لقطعة الشطرنج وصفا سكونيا دون الرجوع الى « اللغات » (١٧٨) السابقة .

هذه الحالة الشطرنجية ، ان طبقناها على اللغة ، قلنا اننا قمنا بدراسة سكونية للغة .

ومن هنا رأى Franz Bopp أن اللغات ، اعتمادا على هذا المثال تتغير باستمرار .

وكما أمكن وصف حالة رقعة الشطرنج في وقت معين من اللعب ، يمكن وصف « الحالات » المتعاقبة للغة ، كل على حدة ، مرتبطة أو

١٧٨ - بتسكين العين واقصد بذلك « المرة » لذلك جعلتها على « فعلة » وجمعتها جمعا سالما ، وافق ذلك الاستعمال أم لم يوافق ، اذ المعنى الجديد هو الذي يجب أن يولد اللفظ .

غير مرتبطة بالمجتمع أو الجغرافية . ففي هذه الحالة ، نكون قد
بدراسته حركية للغة .

لا بد لتوضيح هذه المبادئ من ضرب الأمثلة ، وهي أمثلة يؤتى
بها لأول مرة في النشاط اللغوي عند العرب فيما أعلم .

ففي اللغة العربية الجنوبية ، مثلا ، في « حالة » من « حالاتها »
ولتكن هذه الحالة عبارة عن فترة ما قبل المسيحية نجد أن اللفظ
العربي الجنوبي مثلا « (حكم) » وهو الـ من آلهة الساميين لا يدل
على «حكمة» ، كما قد يتبادر الى ذهن من ينظر الى اللغة العربية في
حالتها الراهنة ، وانما الى «الحكيم» .

وان اللفظ الجنوبي « ود » لا يدل ، هو أيضا على « الحب »
كما قد يفهم عندنا حاليا ، وانما على « المحب » .
والاسم الالهي (سعد) في الحقبـة ذاتها لا يعني « سعد » أو
« حظ » كما قد يفسر الآن في عصرنا ، وانما كان يدل في هذه «الحالة»
اللغوية على « مسعد » .

يمكن أن نستنتج بسهولة أن أسماء الآلهة في هذه الحالة المدروسة
هي ذات معان وصفية .

كانوا ، في هذه «الحالة» من اللغة العربية القديمة التي أشرنا
اليها يعبرون عن أداة التعريف بـ « أن » توضع آخر الاسم . كانوا
يقولون « رحمن أن » في «الحالة» ذاتها لما نطلق عليه نحن الآن في
«حالة» لغتنا الحاضرة بـ «الرحمن» .

نستطيع أن ندرس «حالة» أخرى للغة العربية القديمة نهتم فيها
بما انشغلنا به في «الحالة» السابقة ، وهي أداة التعريف ، لكن بشكل

حركى بحيث لا تبقى في «حالة» واحدة ، فنتمكن آنذاك من ملاحظة التغير الحاصل بين فترة وأخرى أو بين حالتين جغرافيتين متباينتين أو مظهرين اجتماعيين مختلفين . وعندها سنلاحظ أن الاسم الجاهلي العربي الشمالي لا يختلف بين مرحلة وأخرى الا في أداة التعريف التى تتكون ، كما هو معلوم ، في اللهجات السامية المختلفة من ضمائر اشارة متباينة .

وهكذا سنجد في «حالة» «رحمن أن» وفي حقبة تاريخية أخرى «رحمن» (١٧٩) ، كما رأينا في «الحالة» التى مرت بنا آتفا «رحمن أن» .

وانه ، ولا شك ، يخطئ من يرى منا أن علماء اللغة العرب لم ينتبهوا الى هذا النوع من دراسة اللغة . هذا النوع الذى كان — كما سبق أن قلنا — الفضل في ايجاده وتوضيحه للناس للعالم اللغوي السويسري Ferdinand de Saussure

فهذا أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني المتوفى سنة ٣٣٤هـ ، يقوم بدراسة لغوية في كتابه «الاكليل» لا محيد من وصفها بأنها محاولة أولية لدراسة حركية للغة العريية . يقول لنا وهو بصدد وضع شرح لنقش عربي قديم كتب بخط المسند وورد فيه اسمان من أسماء الملوك هما «علمان» و «فهان» ، كتباً برسم يوافق «حالة» اللغة في تلك الفترة ، ثم بنى عليها مقارنات وخرج باستنتاجات . قال : «كذلك يكتبون ، بحذف الالف اذا وقعت في وسط الحروف ، وتبعهم المسلمون في كتابة المصاحف ، فطرحوا ألف

« الرحمن » ، وألف « الانسان » وألف « السموات » ، وكذلك
« علهن » منقوص من « علهان » و « همدن » من « همدان »
و « بنين » من « بنيان » وهذا ما تؤديه أحرف الكتاب ، فأما اللفظ
فعلى التمام . وكذلك يحذفون الواو الساكنة من وسط الحروف
مثل « مبعوث » والياء الساكنة مثل « شليل » والالف الساكنة مثل
هلال وبلال وأميال (١٨٠) .

٢١٠٢٠١ كيف بين De Soussure الفرق بين تزامنية ووصفية
(سكونية وحركية)

أعتقد أنه من المفيد جدا أن أترجم النص الذي أوضح فيه هذا
الامر قال :

« قليل هم اللغويون الذين يظنون أن ادخال عنصر الزمن يحدث
لعلم اللغة العام مشاكل خاصة ويجعل علمهم أمام طريقين متضادين
تماما .

هذا وان كثيرا من العلوم الاخرى لتجعل جهلا تاما هذه الثنائية .
اذ الزمن لا يحدث عندها أي حدث خاص . لقد اتضح لعلم الفلك
أن الاجرام السماوية يلحقها تغيرات ملحوظة ، لذا لم يكن في حاجة
الى أن يجزأ الى شطرين ، وان علم هيئة الارض تعمل دائما على
مراحل متلاحقة ، لكنه حينما يشغل « بحالات » قارة من « حالات »
الارض لا يجعل من هذا الانشغال موضوعا دراسيا منفصلا تمام
الاتصال .

١٨٠ - انظر الاكليل للهمداني ، الجزء العاشر ، صفحة ١٦ ، تحقيق
محب الدين الخطيب ، طبع بالقاهرة سنة ١٣٦٨ .

هناك علم وصفي للحقوق وتاريخ للحقوق ، وليس هناك أحد من الناس يجعل منهما علمين متضادين . ان التاريخ السياسي للامم ليتحرك كله في الزمن ، ومع ذلك اذا أنجز مؤرخ صورة لحقبة زمنية ، فانا لا نشعر أننا خرجنا من التاريخ . وعلم المؤسسات السياسية هو عكس ذلك وصفي بالدرجة الاولى ، ولكنه يستطيع ، بمناسبة ما ، أن يتطرق الى موضوع تاريخي ، دون أن تختل وحدته (١٨١) .

ان الثنائية التي تحدث عنها لتلازم ، بالعكس العلوم الاقتصادية ملازمة قوية . وهنا ، خلافا لما يقع في الحالات السابقة ، يكون الاقتصاد السياسي وتاريخ الاقتصاد علمين متميزين تماما داخل علم واحد . وان المصنفات التي ظهرت حديثا (١٨٢) في هذين الفنين لتوضح

١٨١ - نقد Wells سنة ١٩٤٧ نظرية De Saussure مؤكدا اننا

نستطيع أن ندرس علم الفلك وعلم هيئة الارض وكذا التاريخ السياسي دراسة سكونية كما نستطيع أن ندرسهم دراسة حركية وغاب عنه ان Saussure هو ، في الحقيقة ، على هذا الرأي الا انه يريد هنا فقط أن يوضح التدرج الموجود بين علوم يكون العنصر « زمن » فيها مهيما ، أو على الاقل لا ينظر اليه الا على أساس أنه في درجة ثانوية وبين علوم الاشياء التي لها « قيمة » ويكون التفريق بين عنصريها الزاميا ، وأخيرا بين علوم مثل علم اللغة التي يكون فيها التمييز بين السكونية والحركية حتميا في كل « حالة » لا تكون فيها « القيمة » الا بين العناصر المتضادة ، بمعنى أن « القيم » لا تكمن الا في نظام الخلافات (انظر الهامش رقم ١٦٤ من الصفحة ٥٠) من كتاب « دروس في علم اللغة العام

ل Saussure طبعة Payot ١٩٧٤ (٠

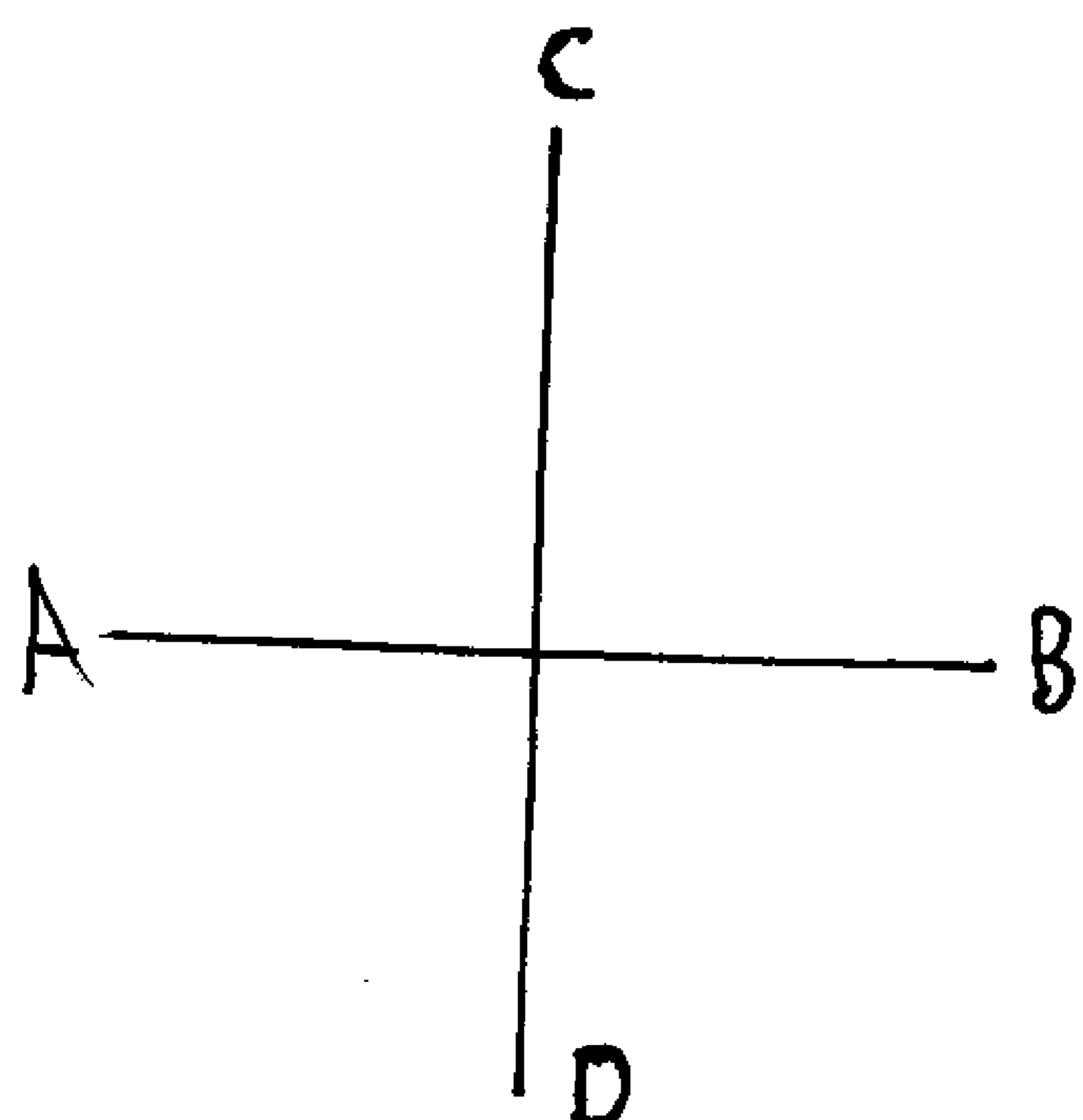
١٨٢ - لا شك ان De Saussure يقصد هنا كتاب Carl Menger

الذي أصدره سنة ١٨٨٣ ومؤلف Vilfredo Pareto المسمى

=

أكثر هذا التباين . وهكذا نستجيب ، دون شعور منا ، ونحن نعالج الامر على هذا الشكل الى ضرورة داخلية فينا . وان ضرورة مماثلة لهذه هي التي ترغمننا على تجزيء علم اللغة العام الى شطرين ، لكل منهما مبدأه الخاص ، نحن هنا ، مثل ما كنا في العلوم السياسية ، أمام فكرة « القيمة » فالامر يهم ، في العلمين معا ، نظام التعادل بين أشياء من أصناف مختلفة ، في الواحد عمل وجزاء وفي الآخر مدلول (١٨٣)

ودال (١٨٤) ومما لا شك فيه أن جميع العلوم ستستفيد ، لو تسجل ، بكل دقة ، على محورين ، الاشياء التي تهتم بها . ولا بد من التمييز ، في كل وقت وحين ، وحسب الرسم البياني الآتي بين :



أولا : محور الحدوث الآني (AB) Axe des simultanéités
ويهتم بالعلاقات بين الاشياء المتواجدة التي يكون ادخال فكرة الزمن فيها غير واردة بالمرّة .

Manuale di economia Politica الذي نشر سنة ١٩٠٦ وترجم الى الفرنسية سنة ١٩٠٩ وكتابا آخر لنفس المؤلف بعنوان Trattato di sociologia generale

١٨٢ - اخصص المصطلح « المدلول » لما يعرف عند علماء اللغة المحدثين بـ Sgnifié و « المدلول عليه » لما يعرف عندهم بـ référent

واما المصطلح Signe فأقابله باللفظ العربي « الدليل » ، واما Signification فهي عندي « دلالة »

١٨٤ - الدال هو ما يعرف عند الاوربيين بـ Signifiant وقد أطلقت عليه لفظا في الرقم ١٨٣ اعلاه . الدليل .

ثانيا : محاور المتلاحقات (CD) Axe des successivités

الذي لا يمكن أن يعتبر الا شيئا واحدا في كل مرة والذي يوجد عليه جميع أشياء المحور الاول بتغيراتها .

ان هذا التمييز سيصبح بالنسبة للعلوم التي تعمل على القيم ، تارة ضرورة علمية وأخرى ضرورة لا مناص منها .

واننا لنستطيع ، في هذا الميدان أن نتحدى العلماء أن ينظموا أبحاثهم تنظيما دقيقا مع اغفال المحورين وبدون تمييز نظام القيم في حد ذاتها واعتبار هذه القيم نفسها بالنسبة للزمن .

وعلى عاتق اللغوي تقع مسؤولية هذا التمييز ، اذ اللغة نظام لقيم محضة لا يميزها شيء عدا الحالة الحينية لعناصرها .

فالقيمة ، لها ، من أحد جوانبها ، أصل في الأشياء وفي علاقاتها الطبيعية بعضها ببعض (شبه ما هو واقع في علم الاقتصاد ، اذ تقدر قيمة الارض بالنسبة لما تنتجه .) .

ونستطيع ، الى حد ما ، أن نتبع هذه القيمة في الزمن دون أن ننسى أنها تتعلق ، في كل لحظة بنظام قيم معاصرة . وان ارتباطها بالأشياء ، ليمنعها ، رغم كل شيء ، أساسا طبيعيا . ومن هنا ، فإن التغيرات التي نلحقها بها ليست تحكمية دائما ، ليس لها أي مكان في علم اللغة (١٨٥) .

١٨٥ - تبين هذه الفقرة بوضوح العلاقة بين تحكمية الدليل ومنهج التحليل السكوني . ان الدليل اللغوي عنده تحكمي بالدرجة الاولى في شطريه المدلول والدال . وعليه فان الشيء الوحيد الذي يحدد الصورة الخاصة لمدلول أو دال هو كون المدلولات الاخرى أو

=

نضيف أنه ، بقدر ما يكون نظام القيم معقدا ومضبوطا ضبطا محكما ، بقدر ما تكون الحاجة ماسة ، من أجل هذا التعقيد ، الى دراسته بالتتابع حسب المحاورين . وليس هناك أي نظام له هذه الخاصية مثل ما للغة ، اذ لا يلاحظ ، في أي مجال مثل ما يلاحظ في اللغة من التدقيق في القيم ، الموضوع في الحساب ومن العدد الهائل والمتنوع من الالفاظ ، وذلك كله في استقلال متبادل ، غاية في الدقة . ان تعدد الدلائل الذي أشرنا اليه سابقا عندما فسرنا استمرار اللغة ، ليمنعنا ، منعنا كليا من أن ندرس العلاقات في الزمن والعلاقات في النظام في ذات الوقت .

هذا هو السر الذي من أجله نميز بين علمين للغة . فكيف سنسميهما ؟ ان الالفاظ المقدمة ليست كلها صالحة ، بدرجة واحدة ، لتحديد هذا التمييز . وهكذا ، فالتاريخ وعلم اللغة التاريخي ، لا يستعملان ، اذ يوحيان بأفكار غامضة جدا (١٨٦) .

الدلالات الاخرى تتواجد معه في نفس النظام وتحدده بهذا الشكل وليس غير . معنى هذا من الناحية الموضوعية ان القيمة ، كل القيمة ، لمدلول ما موكولة ، من خلال النظام الى المجتمع الذي يمنح الحياة ، بشكل ما الى النظام بأسره ، اما من حيث منهج البحث ، فمعناه أننا اذا اردنا دراسة دليل في واقع كدليل ، وجب أن ننظر اليه في النظام الذي يستمد منه قيمته (انظر الهامش ١٦٧ في صفحة ٤٥١) من كتاب De Saussure

١٨٦ - تعود F. de S. ان يقابل لفظة « تاريخ » يلفظة « وصف » التي تعادل عنده « متحرك » Diachronie ولقد استعمل F. de S. لفظة « تاريخ » في معنى مغاير جدا ، وذلك في الدرس الافتتاحي الذي القاه بجنيف والذي ذكره Engler سنة ١٩٦٦ . قال Ferdinand de Saussure

وبما أن التاريخ السياسي يشمل وصف عصور كما يهتم بسرد
موايد ، فانه من المحتمل أن يظن أنه حين تقوم بوصف الحالات
للتعاقبة للغة ، فاننا ندرس اللغة حسن محور الزمن . من أجل هذا
بحسن أن ينظر الى الظواهر التي تجعل اللغة تمر من حالة الى أخرى ،
منفصلة .

فاللفظتان « تطور » و « علم اللغة التطوري » هما أشد ضبطاً ،
ولذا سنستعملهما كثيراً .

نستطيع بالمقابل أن نتحدث عن علم « حالات اللغة » أو « علم
اللغة الاستقرارى » Linguistique statique (١٨٧)

ولكى أحدد أكثر هذه المقابلة وهذا التشابك في هذين النوعين
من الظواهر المتعلقة بنفس الموضوع ، فاننا نقضل أن نتحدث عن

« بقدر ما ندرس اللغة ، بقدر ما نزداد يقينا من ان كل ما في
اللغة «تاريخ» بمعنى أنها موضوع تحليل تاريخي وليس موضوعا
مجردا ، وانها تتكون من وقائع لا من قوانين . وكل ما يظهر انه
عضوي في اللغة ما هو في الحقيقة الا عارض يمكن ان يحدث كما
يمكن الا يقع أبدا .»

وقال مرة أخرى : « ليس لاي قانون يتحكم في الفاظ معاصرة
معنى لازم . » أنظر الحاشية رقم ٤١ من كتاب « دروس في علم
اللغة العام » صفحة ٤١٦

١٨٧ - يظهر أن (F. d. S.) كان مترددا بالنسبة لاستعمال اللفظتين
«استقرارى» ، «متطور» . ويكفي ، اذا أردنا أن ندرك ذلك
أن نعود الى المراجع المخطوطة التي خلفها لنا F. de S. او الى
R. Angler Lexique de la terminologie saussurienne لصاحبه

والمطبوع سنة ١٩٦٩ في Utrecht-Antwerp

« علم اللغة السكوني » و « علم اللغة الحركي » (١٨٨) كل ما يتعلق بالمظهر الاستقراري من علمنا فهو « سكوني » وكل ما له اتصال بالتطور فحركي ، كما أن « ساكن » و « متحرك » يعبران بالتتابع عن « حالة » لغوية و « مرحلة تطورية » .

١٨٨ - انطلقت هاتان اللفظتان انطلاقا كبيرا واشتهرتا اشتهارا عظيما بعد F. de S. الا انه يعتقد انه لم يكن له الفضل
لفظة « حركي » Diachronique ذلك انه سجل لأول مرة ، في دفتر
ظهرت فيه حتى لفظة Semio ogie علم الاشارة وهو دفتر
كتب قبل سنة ١٨٩٤ . (انظر الحاشية رقم ١٦٩ من كتاب
F. de S. صفحة ٤٥١)

٢٠٢ تعريفنا

٢٠٢٠١ تمهيد

يصعب علينا أن نكون لانفسنا تعريفا شاملا ، دقيقا للغة ، لا سيما وقد أصبح علمها - من جهة - علما متشعب الفروع ، متعدد الجوانب ، ذا أفق متسع وقعر عميق ، بعد أن كان - من جهة أخرى - علما مهلا اذ لم يحظ من طرف الاقدمين بالعناية التي كان يستحقها أو على أصح تعبير لم يعالج بالمنهج العلمي الرصين الذي كان في امكانه أن يبرزه علما محترما قائم الذات . وهو يشارك معارف قديمة ، قدم الانسان على الارض ما دامت اللغة هي الآلة التي لازمته منذ كان ، لكنه يعد ، في نفس الوقت ، علما حديثا لانه لم يدرس دراسة علمية منهجية الا حديثا جدا .

وان الناس ليحلوا لهم ، كل حسب هواه أن يروا وقتا معيننا لنشوء هذا العلم . أما نحن العرب ، فان كثيرا منا يعتقد أن ظهور علم اللغة برز بشكل أولي طبعا ثم صار ينمو ويتوسع مع (١٨٩) :

أولا : نصائح أبي الاسود الدؤلي (توفي سنة ٦٩ هـ) المقدمة لتلاميذه .

ثانيا : توجيهات نصر بن عاصم الليثي المتوفى سنة ٨٩ هـ .

ثالثا : دروس الاخفش الاكبر المتوفى سنة ١١٠ هجرية والموجودة

الآن في كتابه « معاني القرآن » .

١٨٩ - أثبت قصدا مع كل لغوي وفاته في صلب الموضوع ، لا في الحواشي
لاثير اكثر الانتباه الى تطور علم اللغة عند العرب الاقدمين .

رابعاً : مواقف عبدالله بن اسحاق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ هـ
خامساً : تلميحات يحيى بن يعمر المتوفى سنة ١٢٩ هجرية •
سادساً : مؤلفي عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة ١٤٩ هـ •
صاحب كتابي الاكمال والجامع في النحو •

سابعاً : محاضرات أبي عمرو بن العلاء ذي العلم الواسع المحيط
بكلام العرب ولغاتها وغريبها ، المتوفى سنة ١٥٤ هـ •

ثامناً : نظريات الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٠ هـ
تاسعاً : مبادئ امام النحاة سيبويه المتوفى سنة ١٨٣ هجرية ، تلك
المبادئ التي أجملها في مؤلفه « الكتاب » •

عاشراً : تصانيف معاد الهراء وأخيه أبي جعفر محمد الرؤاسي
صاحب كتاب الفيصل ، أول مصنف في النحو الكوفي ، من طائفة
الشيعة • توفي الهراء سنة ١٨٧ هجرية ومات الرؤاسي سنة ١٩٠
هجريّة •

لكنه لم ينتصب علماً قائماً بذاته الا في بحر القرن الرابع الهجري
مع أمثال ابراهيم بن السري المعروف بالزجاج ، المتوفى سنة ٣١١
هجريّة صاحب « معاني القرآن » و « الاشتقاق » و « فعلت وأفعلت »
ومع أبي بكر محمد ابن الحسن بن دريد ، المتوفى سنة ٣٢١ هجرية
صاحب « الاشتقاق » و « الملاحن » و « الجهرة » ، ومع الانباري
المتوفى سنة ٣٢٨ هجرية صاحب « كتاب الاضداد » • ومع أبي علي
اسماعيل بن القاسم المعروف بالقالي المتوفى سنة ٣٥٦ هجرية صاحب
كتاب « الامالي والنوادر » و « البارع » و « المقصور والمدود
والمهموز » • ومع أبي منصور محمد ابن أحمد الهروي المعروف
بالزهري ، المتوفى سنة ٣٧٦ هجرية ، صاحب المعجم المشهور بـ

« التهذيب » ومع أبي بكر محمد ابن الحسن الزبيدي الاشبيلي
المتوفى سنة ٣٧٩ هجرية ، صاحب « مختصر العين » •

ثم وصل هذا العلم الى أوج ازدهاره مكتملا مع أواخر هذا
القرن وأعني القرن الرابع بفضل جهود أمثال ابن جني وابن فارس
الذين سنفرد لهما حيزا مهما في جزء آخر من هذه التوطئة •

هكذا يرى بعضنا نشوء علم اللغة عند العرب ، أما عند غيرنا
وفي الغرب على العموم فانهم اختلفوا في ذلك اختلافا كبيرا • فمنهم
من يرى أنه نشأ مع القرن الخامس قبل المسيح ومنهم من يعتقد انه
لم يستقم علما مميزا عن غيره الا في سنة ١٨١٦ ميلادية مع نشر
Franz Bopp لكتابه في المقارنة بين اللغات (أقظر ١٠٢٠١)
ومنهم من يرى أنه برز علما ناضجا بعد سنة ١٩١٦ ميلادية حين نشر
Ferdinand de Saussure محاضرات الاستاذ الكبير على
الناس ، ومنهم من يؤخر ظهوره الى سنة ١٩٢٦ مع أعمال Troubetskoy
أو حتى سنة ١٩٥٦ مع Noam Chomsky

وعلى كل فانه لم ينشر في المغرب ويدخل الجامعات دخولا رسميا
الا بعد ١٩٥٠ •

من أجل ذلك كله صعب علينا أن نكون لائقنا تعريفا للغة
يشفي غليلنا •

٢٠٢٠٢ تحديد مجال التعريف

عازا أردنا ، اعتبارا لهذه الصعوبة ، أن نجد تعريفا للغة نركن
اليه باطمئنان ، ولا يترك ، بحال من الاحوال المجال للاخذ والرد ،
بحيث لا يشمل كل التعابير المعروفة وغير المعروفة ، بل يقتصر فقط

على لغة الانسان ، ويساعدنا على الدخول مباشرة في دراسة حقيقة
للغة ، كان لزاما علينا اعتبار مسائل ، منها :

أولا : الرأي المعقول القادر على ابعاد ما استنتجه Vendryes
قندريس ، الذي ، حين سمع الفلاسفة يعرفون اللغة بأنها « وسيلة
لتعبير عن الافكار » استنتج : « أن جميع الاعضاء تستطيع اذن أن
تخلق لغة » (١٩٠) .

وهو استنتاج انطلق منه العالم اللغوي Guilio Berioni
سنة ١٩٣٨ ليقول : « ان الايماء لغة ، وان الضحك لغة » .

ولقد أسبغ Georges Mounin ، سنة ١٩٦٨ على هذا
الاستنباط شمولية بتوسيعه الى مستويات أخرى ليسهل عليه الجواب
عن السؤال المشهور الذي شغل الناس حقبة ليست بالقصيرة ، ذلك
السؤال هو : لماذا لا يهتم اللغويون بكل هذه اللغات المزعومة ؟ قال
Georges Mounin : « ان الرسم سيكون على هذا التأويل لغة ،
وان الموسيقى والنحت يصيران لغة ، وان السينما وجميع المعارض
ومباراة الملاكمة ، وحفلة دين ، ولقاء رياضيا لكرة القدم ، وقانون
السير والامارات البحرية ، وغناء الطيور ، وصراخ القرد والوعمل
ورقص النحل واحتكاك أقران النمل كلها علامات وكلها لغة » (١٩١) .

أما الرأي المعقول الذي يمكن أن نعتمد عليه لرد هذه الاستنتاجات
غير الصائبة ، فهو أن التركيب الفيزيولوجي للانسان هو غيره عند

١٩٠ - مثل ما استنتج ايضا Jespersen حين قال : « ان أية وسيلة

للتبليغ بين الاحياء هي لغة » (انظر Encyclopedia Britannica

١٩١ - انظر Linguistique في سلسلة Saigers رقم ١ المطبوع

سنة ١٩٧١ ، صفحة ٣٠ .

الحيوانات ، اذ أن خلقة هذه خالية مما نطلق عليه الجهاز الصوتي ،
سواء ذلك الجهاز الصانع للغة المنمّي لها أو ذلك الجهاز العضلي
العصبي الذي يلتقطها ، خاص بالانسان وحده .

فاذا ما قيل ان الطيور زوّدت بجهاز للتخليق لم تزود به
الحيوانات الاخرى غيرها ، واذا كان الفضل في عيش الاسماك على
مختلف أنواعها وأحجامها تحت الماء يعود الفضل فيه لجهاز خاص
أودع أجسامها لم يودع مثله في أجسام الحيوانات الاخرى ، فانه
يحسن الا يرى أحد غرابة فيما ذهبنا اليه من استئثار الانسان بجهاز
للنطق خاص به غير متوفر عند غيره .

ولا يهنا الآن متى وفق الانسان في استعمال هذا الجهاز وهل
بدأ حياته على الارض صامتا ، قبل أن يعي أن له جهازا يستطيع أن
يستغله للتعبير عما يريد ، كما يبحث عن ذلك العالم اللغوي Révész
في كتابه « نشأة اللغة وما قبل التاريخ » أو أن ارادة التعبير عما يجول
في خاطره لم تبرز كما يحاول أن يشرح لنا ذلك R. R. Schmidt
في كتابه « فجر العقل الانساني » (١٩٣) الا بعد أن تهذب الفكر
الانساني نفسه (١٩٤) ، أي منذ حوالي ٣٠٠٠٠ سنة ، وهو الوقت
الذي ظهر فيه الانسان العاقل (١٩٥) على الارض ، بقدر ما يهنا أن
نعلم أن هذه الافكار وعلى الاخص تلك التي توجد في صدر هذا
الرأي ، درسها أجدادنا بكيفية لم يصل اليها بعد علماء اللغة في

١٩٣ - انظر على الاخص صفحة ٢٦٠ وما بعدها من النص الالماني
المطبوع في باريس سنة ١٩٣٦

١٩٤ - صفحة ٥٢ من النص المترجم والمطبوع في باريس سنة ١٩٥٠

١٩٥ - « اللسان والانسان » للدكتور حسن ظاظا صفحة ٤٥

الغرب • وما هي (رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا) شهادة على ذلك • فهي لا تعرف لنا الكلام بقدر ما تبين — وحسب النص الذي سنورده منها أسفله — العلاقة بين اللغة والفكر • قال أصحابها : « وذلك أن النطق اللفظي إنما هو أصوات مسموعة لها هجاء ، وهي تظهر من اللسان الذي هو عضو من الجسد ، وتتم الى السامع من الآذان التي هي أعضاء من أجساد أخرى ، وأن النظر في هذا المنطق والبحث عنه والكلام على كيفية تصاريفه وما يدل عليه من المعاني يسمى علم المنطق اللغوي ، وأما المنطق الفكري الذي هو أمر روحاني معقول ، فهو تصور النفس معاني الاشياء ذاتها ورؤيتها لرسم المحسوسات في جوهرها وتمييزها لها في فكرتها وبهذا النطق يحدّ الانسان ، فيقال : انه حيّ ناطق مائت ، فنطق الانسان وحياته من قبل النفس ، وموته من قبل الجسد ، لان اسم الانسان إنما هو واقع على النفس والجسد جميعا • »

وانه لفخر لنا عظيم أن نرى علماءنا الاقدمين سبقوا غيرهم الى القول بأن « الكلام عند الانسان لا يتوقف على مجرد القدرة على استعمال الصوت الطبيعي في الصياح أو تقطيعه الى حروف ذات مخارج متميزة • »

يمثل هذا الفريق من علمائنا ، زيادة على أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جنّي ومعاصرهما ابن فارس أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، الذي قال في كتابه « الحيوان » مفرقاً بين صياح الحيوانات ولغة الانسان : « وزعم صاحب المنطق أن كل طائر عريض اللسان ، فالافصاح بحروف الكلام من أوجه ، ولا بن آوى صياح يشبه صياح الصبيان ، وكذلك الفخزير • وقد تهيأ للكلب مثل

عو عووو وأشباه ذلك ، وتهيأ للغراب القاف وتهيأ للبيغاء من الحروف
أكثر ، فإذا صرت السنائر وجدتها قد تهيأ لها من الحروف العدد
الكثير ، ومتى أحبت أن تعرف ذلك فاسمع تجاوب السنائر وتوعد
بعضها لبعض في جوف الليل . ثم احص ما تسمعه وتتبعه وتوقف
عنده ، فأنك ترى من عدد الحروف ما أن كان بها من الحاجات
والعقول والاستطاعات ، ثم ألفتها ، صارت لغة صالحة الموضوع ،
متوسطة الحال ، واللغات إنما تشتد وتعسر على المتكلم بها على قدر
كثرة العدد وقلته ، وعلى قدر مخارجها وخفتها ، وسلسها وثقلها
وتعقدها في أنفسنا .» (١٩٦)

ثانيا : الرأي السيد القادر على إبعاد المعتقد الفاسد القائل أن
للكلام غريزة أصيلة في الإنسان وأن طبيعته مميزة به .
ومعلوم أن الذين يذهبون هذا المذهب يسوون بين تعلم الإنسان
المشي مثلا وبين تعلمه الكلام ، وليس بينهما في حقيقة الأمر أي تشابه .
ذلك أن الطفل يبدأ في المشي عندما تصل قوته العضلية والعظمية
والعصبية إلى مستوى معين ، وإن لم يساعده أحد ، لأنه هو وحده
يبدل الجهد دون أن يرشد إليه ، وهو وحده ، وتلقائيا ينهض على
قدميه شيئا فشيئا ، يكبو ثم يستقيم ليعاود المشي من جديد إلى أن
يتمرن عليه . ثم يتعدى مرحلة المشي المتعثر البطيء إلى المشي العادي ،
ثم الجري .

أما الكلام فأمره شيء آخر ، إذا أردناه أن يتكلم لقناه ذلك ، فإن
تركناه وحده منعزلا عن الإنسان الناطق لن يتكلم حتما لأنه لم يكن

تعلم كيف يعبر عما يدور في خلده . وبهذا يتضح فساد الرأي القائل بأن الكلام غريزة أصيلة في الانسان .

ثالثا : الرأي القوي القادر على ابعاد ما ذهب اليه بعض اللغويين من أن المادة الاساسية في الفاظ اللغة ، وهي الصوت ، يحمل في جرسه ما يوحي بمدلول هذه الالفاظ . بمعنى أن الهيكل المسموع للالفاظ يحاكي أصوات الطبيعة ، ثم صار هؤلاء يصنفون هذه الالفاظ التي اكتسبها الانسان بالفطرة كما يدعون ، حين يقلد الاصوات المنتشرة في الطبيعة ، الى مجموعتين ، مجموعة الفاظ الاتفعال ومجموعة الفاظ ذات الجرس المعبر .

أما المجموعة الاولى فهي التي تعبر عن الحسرة والالام والحزن والدهشة والتفجع والاستغراب ، وما الى ذلك .

آمن بهذه النظرية التي تعدّ بحق المنطلق الرئيسي للبحث العلمي في قضية « نشأة اللغة » العالم اللغوي الكبير ابن جني الذي ما فتى يعرضها على طول مؤلفاته وعرضها ، معتقدا أنها نظرية مينة لا يمكن أن يتسرب الشك اليها .

قال مؤيدا هذه النظرية : « وذهب بعضهم الى أن أصل اللغة كلها انما هو من الاصوات المسموعات كدوي الريح ، وحنين الرعد وخرير الماء وشجيج الحمار ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، وتزيب الظبي ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد . وهذا عندي وجه صالح ومذهب مقبول . » (١٩٧)

كما آمن بهذه النظرية وأيدها أكثر ابن بابشاذ (١٩٨) المتوفى سنة ٤٦٧هـ (١٠٧٧ ميلادية) الذي لم يكن يترك فرصة تمر دون أن يبين صلاحيتها .

وانه ليسهل علينا بيان خطأ هذه النظرية في هذه المجموعة ، ذلك أن ما استعمله من الالفاظ الداخلة فيها لم يقتبس بعينه من الاصوات اللا ارادية للطبيعة ، اذ لا يمكن أن يكون وجود صوت منها - على فرض وجوده ، ولو بصفات تقريبية - في الالفاظ المستعملة عند الانسان في هذا الباب دليلاً قوياً على تأصل ألفاظ الاثفعال من الصيحات الطبيعية ، لسبب بسيط ، وهو أن ما نسمعه من الطبيعة من ضوضاء وجلبة لا ينطبق على ما يصدره الانسان من أصوات لا شعورية صادقة في حالات افعاله ، والصيحات الطبيعية ، زيادة على ذلك ، ثابتة على وضع واحد لا يتغير ، وضع ليس له وجود في لغة الانسان ، ولا يستعمل بذاته في التبليغ والتخاطب بين الناس .

واذا تشابه صوت منها بصوت يقاربها في وجه من الوجوه في لغة الناس ، واستعمل في شعر أو ثر ، وكانت له دلالة مقبولة عند بني الانسان ، فلأن ذلك ناتج ، اما عن سياق حال مؤثر بمعناه الاجمالي ، لا باجزائه كل على حدة ، واما أن اللفظ الطبيعي - ان قبلنا تجاوزاً

١٩٨ - طاهر بن أحمد بن بابشاذ المصري الجوهري ابو الحسن ، امام عصره في علم النحو . من مؤلفاته المقدمة في النحو (لا زال مخطوطة) ، « شرح الجمل » للزجاجي ، في النحو (مخطوط أيضاً) ، « شرح الاصول » لابن السراج . انظر ترجمته في الجزء الاول من الوفيات ، صفحة ٢٣٥ وفي بغية الوعاة ، صفحة ٢٧٢ وغيرهما .

انه مستمدّ من صيحة لا ارادية طبيعية — يفسر بما صاحبه من الفاظ لغوية لها دلالتها بعيدة عن الطبيعة .

ومع كل هذا يبقى التصور الذي يوحى به هذا اللفظ الطبيعي، بالرغم عن كل شيء ، باردا لا يوقد شعورا ولا يوحى بجمال .

يمكن أن نستشهد للوجه الاول ، أي حين يكون سياق الحال مساعدا على التفسير ، بيت ابن أبي ربيعة ، وهو يتغزل على طريقته بامرأة قلدت سخافا نزل على مكان حساس من صدرها لا يراه ابن أبي ربيعة الا سالت لعب فيه ، واندفعت ، دون شعور منه التهديدات والحشرات على هذه القلادة المحظوظة ، المنزلة مقاما محمودا ، أغلى أمنيته الاستئثار به هو دون غيره . قال :

قلدوها من القرقل والدرّ سخافا واهال له من سخاف

فمدلول هذه الصيحة اللا ارادية الطبيعية لا يستقيم ، وبالتالي لا يؤثر في النفس الاثر البليغ المحرك للشعور الا بسياق حال أجاد سبكه وأحسن تمثيله الغزل المتهتك على الشكل الذي وصفناه قبل قليل .

ويسكن أن نستشهد للوجه الثاني ، أي حين يفسر الصوت القصير الدال على الاتفعال والمرتد الى صيحة لا ارادية طبيعية بما صاحبه من ألفاظ لغوية لها دلالتها في حد ذاتها ، (دلالة موجودة طبعاً في معجم اللغة) . ومع ذلك يبقى التصور ، رغم هذا التفسير باردا بيت للمتنبى يتوجع فيه من شدة الالم الذي تركه في نفسه بُعد الحبيبة . قليل .

أوه بديل من قولتي آها لمن فأت والبديل ذكراها

فأين هذا الجمال المستحوذ على الالباب ؟ أين هذه الروعة التي
يفتتن بها كل قارئ وسامع ودارس لشعر المتنبي ؟ لقد ذهبت بكل
هذا الصيحة الطبيعية التي لم تفهم حق الفهم ، ولم تدرك ، كما أراد
لها الشاعر أن تدرك الا بمصاحبتها للالفاظ « بديل » و « نأت »
و « ذكرها » .

وأما المجموعة الثانية ، أي صاحبة الجرس المعبر والتي يطلق
عليها المحدثون من علماء اللغة التركيب الاغريقي « أونوماطوية » .
وهو تركيب مكون من لفظتين من « اسم » بالاغريقية Oroma
أو Oromacos ومن الفعل « خلق » Moièw فالترجمة
الحرفية لهذا التركيب هي « خلق الاسم » ومعناه : « صفة الاسم ذي
الجرس المعبر عن الشيء المتكلم عنه » وبعبارة أوضح « كلمة مخلوقة
توضح الصلة بين اللفظ والمدلول » .

ومعلوم أن الذين ذهبوا هذا المذهب هم أولئك الذين اعتنقوا
النظرية الداروينية المشهورة الخاصة بتطور الكائنات الحية . وواضح
أن مفهوم نظرية داروين لم يقتصر على التطور الجسماني وانما قام
بربط بين نشأة اللغة وبين الصيحات اللا ارادية الطبيعية ، سواء
صدرت هذه الاصوات عن غريزة أو عن انفعالات ، ثم جعلها الأسس
الاصيل للغة بني البشر .

والفرق كما نرى ، واضح بين المجموعتين . فاذا كانت الفاظ
الطائفة الاولى تتكون من صيحات فطرية عريقة في البساطة يمكن أن
تمكس في بعض الحالات النادرة مردودا لغويا ، فان الفاظ المجموعة
الثانية تقليد صوتي مرتب لما يسمع عادة في الطبيعة من ضوضاء
وجلبة . وأحدث من أوضح هذه النظرية بشكل علمي بديع ، العالم

الانجليزي R. H. Robins الذي قال : « تحتل اللغة مكانة بارزة في ميدان الاظمة الرمزية وذلك لسببين في الاقل .

أولا : بينما تسعى الاشارات الموجودة على الخرائط والطرق وغيرها لان تمثل بشكل بديع الاشياء التي تعنيها نرى ألفاظ لغة ما لا تشير الى واقع معاش أو الى جزئيات الحياة الا حين يتعلق الامر بكلمات الجرس المعبر (الانوماطوية) .

ان العلاقة بين رنين Sonorité الكلمات مثل Coucou Cocorico et meumeu et Crieri الخ الموجودة فعلا . كما أننا نستطيع أن نعثر في مجموعات من أوزان أكثر اتساعا ، اشتراكا لقوى بين الصوت ونوع الشيء أو تطوره .

وهكذا فإن كثيرا من الالفاظ الانجليزية المختومة ب Ump مثل hump (طرق) و Clump (مطرقة) و Stump (قطعة) و dump (وّصع ايداع) تحاول أن تعبر عن الثقل والسماكة والغباوة . ولقد كشف النقاب ، بطريقة تجريبية عن كلمات اخترعت اختراعا مثل takete et Combooiu et maluma و keberiki تعامل بنفس الدرجة من طرف الذين يسمعونها للمرة الاولى ، والذين يطلب منهم أن يضعوها في احدى الرسمين : الاول مدور والثاني حاد . وهكذا شوهد أن الكلمتين الاولين تجدان مكانهما دائما بالرسم الاول بينما نرى الآخرين في الثاني .

ومع ذلك فإن ألفاظ الجرس المعبر وذات الرمز الصائت في اللغة، وإن كانت ذات أهمية ، فانها لا تشغل في معجم لغة ما ، أية لغة كانت ، الا حيزا ضيقا ، رغم ما يذهب اليه من يرى أن أصل اللغة

هو في ضوضاء شبيه بهذا النوع . مع لزوم اعتبار أن أكبر جزء من المعاجم هو تحكمي صرف في مقارناته هذه ، والا لاشتبهت ، أكثر مما هي عليه الآن ، جميع لغات العالم ، شأنها في ذلك شأن علامات الكتابة التصويرية في عدد من أنظمة الكناية التصويرية (Pictographique) المستقلة تاريخيا والتي تظهر تشابها بينا فيما بينها .

ثانيا : ان المظهر الخاص للغة ، المتمثل في كونها تستطيع أن تربط بين رموزها وبين جميع امكانيات التجربة الانسانية في الميادين ، وعلى مستوى جميع عناصر العالم لهو أعظم شأنًا مما سبق ، لانه ييوئها مكانة استثنائية . ولهذا السبب نرى أن جميع الاظمة الرمزية الاخرى تفسر بالنسبة لها ، ان اللغات تستطيع أن تمتد الى ما لا نهاية له ، وأن تتغير حسب أنواع متطلبات المتخاطبين .

يظهر هذا بوضوح في الملاءمة الفورية لمعجم اللغة الاسبانية مثلا مع الاختراعات العلمية والتغيرات المصاحبة لها التي وقعت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين .

هذا هو الذي يميز تميزا مطلقا اللغة ، من جهة ، عن الرمزية مثل الایحاء ، ومن جهة أخرى عن نظام التبليغ الذي يستعمله النمل حتى ولو وصلت جاذبية هذا النظام ما وصلت ، وبلغ ايحاؤه للاسرار ما بلغ .

ولقد تنبه للقدرة العظيمة التي تملكها اللغة ولاتساع أفق نفوذ سلطتها الكبيرة جميع المجتمعات .

ولا شك أن الشعور بهذه العظمة هو في الحقيقة أصل السلطة السحرية التي يعطيها بعض الشعوب الى ألفاظ تدل على أشياء أو تشير الى حوادث ذات أهمية بالغة أو أفعال مخيفة .

انا لنلاحظ هذا الموقف السحري تجاه اللغة في الاعمال الخارقة للعادة ، الكثيرة الانتشار عند بعض المجتمعات التي لا زالت تنفعل بألفاظ أو عبارات معينة .

وانه ليسهل علينا هنا أيضا كما سهل قبلا ، حين أوضحنا عدم الأخذ بنظرية الفاظ المجموعة الاولى ، أن نبين تفاهة ما ذهب اليه أصحاب المجموعة الثانية . فنسألهم اذا كان لا بد أن نعطي صوتا معبرا في أمور الطبيعة . فأول شيء يجب أن يستأثر بتطبيق هذا المنحى . بعد الدلالات التي بها أصوات تعبر عنها ، هو الالوان التي تغدقها على الانسان الناطق الطبيعة بدون حساب . فلماذا لا نجد في اللغة ما يعبر بطريقتكم هذه عن اللون الاحمر مثلا ؟

فاذا ما أجابوا — ومن يدري ، قد يفعلون ! — « ان لفظة الاحمر لها جرس معبر حقيقة عن هذا اللون ، قلنا لهم : هل هناك مانع من حس أو وجدان أو عقل أو نقل أو حتى من طبيعة يمنعنا ، اذا كان الامر كما تقولون ، من أن نطلق لفظة « الاحمر » على خضرة النبات أو سواد الليل الحالك الظلمة أو على بياض الثلوج المتراكمة على قمم الجبال ؟

لا شك أنهم سيجيبون أن ليس هناك أي مانع من أي نوع كان الا التوافق والاصطلاح الحاصلان بين المتخاطبين في اطلاق هذه اللفظة « الحمرة » على مدلولها دون غيره .

٢٠٢٠٢ الصفة النوعية للغات الطبيعية للانسان

بقي علينا ، بعد أن انتهينا من ارساء مجال التعريف الذي نريده للغة أن نقوم بتحديد الصفة المخصصة للغات الطبيعية للانسان اذا

٤. دنا أن يكون تعريضا في مأمن من الزل . ولانجاز هذا الامر ، لا بد أن نبحث في مسائل منها .

٢٠٢٠٤ اللغة ليست للتبليغ والتخاطب فقط

ولو كانت كذلك لدخلت ضمنها الخارطة الجغرافية مثلا التي تخاطب الناس وتبلغهم المعلومات ، كما يدخل معها أيضا كل الفنون التشكيلية بجميع أنواعها وسائر الموسيقى بكل أشكالها ومجمل الاشارات بما فيها من أصناف وألوان .

ان الخطاب اللغوي يحمل معه زيادة على مضوته المتمثل في التبليغ والتخاطب ، فوائد أخرى عديدة لا يعثر عليها الا في كلام المائت الناطق . انه يتضمن معلومات ثمينة يبلغها الى السامع الذي يستطيع أن يعرف من جرس صوته ، زيادة على جنسه وسنه ، بداته (Stoutness, Corpulence) وحالاته الصحية والمنطقة الجغرافية التي ينتسب اليها والطبقة الاجتماعية التي أثرت فيه ، بل حتى على حالاته النفسية التي يوجد عليها آن الحديث .

وقد يستفيد السامع ، ان استعمل بعض ذكائه ، من مخاطبه ، حتى وان لم يرد هذا الاخير ذلك ، فوق ما سبق ذكره ، موقف محدثه مما يعرضه بنفسه ، رقة قلبه أو فظاظته ، خفة روحه أو ثقل نلله ، ويعرف منه كذلك مدى فهمه للاشياء وكيفية معالجته الامور ثم يحكم عليه إن بالصراحة أو بالنفاق ، بالطيبة أو الخبث ، بالفطنة أو بالتغفل الخ .

٢٠٢٠٥ اللغة لا تنفرد وحدها باستعمال الاشارات التحكيمية

انها لتوجد في كل ما يقوم بهمة التبليغ ، فالألوان من أحمر وأزرق وأصفر وأسود وأبيض ، والأشكال من دوائر ومثلثات

ومربعات ، والخطوط الغليظة والرقيقة ، المتتابعة منها وغير المتتابعة لتكون في قانون السير وفي الخرائط ورسوم المشاريع أمارات تحكيمية . واللغة ليست ، من جهة أخرى جوهرًا مفرطًا في التجرد ولكنها ثمرة تاريخية معقدة تنبت عن النشاط الدؤوب ، العفوي للإنسان ولا هي في نفس الوقت مجرد أنظمة صرفة من إشارات تحكيمية ، ما دام جزء كبير من كلام الناس في البلاغ يمكن أن يتحقق بواسطة مفعول إحياءات .

في كلام الغاضب القلق إحياء عن حالته ، وإن حاول إخفاءه عن السامع ورنه الفرح والسعادة والهناء في نطق السعيد لا تخفى على أذن ، ودرجة دهشة واستغراب وحيرة من فعل بادية في كلامه ، معبرة عن حالاته بمقدار دهشته واستغرابه وحيرته .

كما أن اللغة بمعزل عن أي رمز أو إشارة تستطيع أن تضيف إلى البلاغ معلومات ثمينة باعتمادها فقط على الإيقاع (Rythme) والمنطوق Débit مثال ذلك قوله تعالى (١٩٩) : « ولا تطع كل حلاف مهين هواز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم ... الآية »

٢٠٢٠٦ فوائد حول الموضوع

لا شك أن لـ F. de Saussure الفضل العظيم في توضيح هذا الأمر ، ولذا أرى من المفيد أن أترجم فقرات مما أتى به في هذا الصدد، قال (٢٠٠) ، أن لفظة « تحكيمي » تحتاج إلى ملاحظة ، فلا يجوز لها

١٩٩ - الآية ١١ من السورة ٦٨ القلم
٢٠٠ - انظر كتابه Cours de linguistique générale ، صفحة ١٠١

أن توحى بفكرة أن « الدال » (٢٠١) مرهون بالاختيار الحر للفاعل المتكلم (٢٠٢) (سنرى بعد قليل أنه يستحيل على الشخص أن يغير شيئاً من الدليل (Signe) بعد أن يوضع في مجموعة لغوية) .

نريد أن نقول أنه غير معلل (٢٠٣) أي أنه تحكمي بالنسبة للمدلول الذي يربطه معه أي رابط طبيعي في الواقع (٢٠٤) .

ولنذكر ، في الختام تحفظين يمكن أن يقدم في وجه تطبيق هذا المبدأ الأصلي .

أولاً : يمكن أن نعتمد على الانوماطويات لنقول أن اختيار الدال لا يكون دائماً تحكمياً وإن هذه الانوماطويات لا تكون مطلقاً

٢٠١ - انظر الحاشيتين ١٨٣ و ١٨٤ في ٢٠١٠٢٣
٢٠٢ - اترجم بـ « الفاعل المتكلم » Sujet parlant
٢٠٣ - أرى أن أحسن ترجمة للعبارة الفرنسية Immotivé هي « غير معلل » .

٢٠٤ - لقد اتهم ، فيما يتعلق بفكرة « التحكمية » كبديل لغياب تحليل مدلولات لغتين مختلفتين بالنسبة «لدال» واحد نقدر أنه قار متشابه ، أقول اتهم F. de S. بأنه غير متجانس .

واننا لنعتقد ، من جهتنا ان العالم السويسري الكبير كان طيلة حياته يدافع عن الفكرة القائلة بأنه لا توجد أسباب طبيعية معقولة بين المادة الاكوستيكية والدلالة . (الرجاء ، لمعرفة هذه القضية المهمة عند F. de S الرجوع الى بحث de l'arbitraire du signe وكذا Berviste في مقال له تحت عنوان Nature du signe linguistique المنشور في العدد الاول من مجلة A et a linguica

سنة ١٩٣٩ (انظر الحاشية رقم ١٤١

صفحة ٤٤٦ من كتاب G.L.G. وكذا الحواشي ١٣٦ و ١٣٧

و ١٣٨ في الصفحات ٤٤٢ و ٤٤٣ و ٤٤٤ من نفس الكتاب .

عناصر عضوية من نظام لغوي ، وان عددها ، زيادة على ذلك ، ليقل
بكثير عما نعتقد . ان كلمات مثل Fouet (٢٠٥) و Glas

تستطيع اثارة بعض الاذن برنينها الموحى ، الا أنه يكفي لنرى أن
ليس لها نفس الصفة من البداية ان صعدنا الى صيغتها اللاتينية
(ف Fouet الآتية من "Hêtre" Fagus و Glas آتية من
(Ciassicum) فصفة أصواتها الحالية أو بالاحرى هذه التي
نمنحها لها ما هي الا نتيجة عرضية للتطور الصوتي .

أما بالنسبة للاونوماطويات الحقيقية (تلك التي من صنف
glou-glou و tic-tac الى آخره) فليست قليلة فقط ، وانما
يعد اختيارها « تحكيميا » أيضا شيئا ما ، لانها ليست الا تقليدا تقريبا
ونصف اصطلاحى لبعض الضوضاء . (قارنوا بين اللفظ الفرنسي
Ouacua والالمانى Wauwau) ثم انها ، زيادة على ذلك تتبع ،
بمجرد دخولها الى اللغة التطور الصوتي والصرفي الى آخره ، الذي
تخضع له باقي الكلمات Pigeon من اللاتينية ^٤ Pipio الآتي هو من
(أونوماطوبي) ، وهي حجة قاطعة ، انها فقدت شيئا من الصفة الاولى
لتلبس حلة الدليل اللغوي العام الذي هو غير معلل .

ثانيا : الهتاف (٢٠٦) ، وهو قريب جدا من أونوماطويات ليدفعنا

٢٠٥ - كان لا بد من الاحتفاظ بالامثلة كما ذكرها F. de ...
ليبقى النص سليما والفكرة تامة .

٢٠٦ - لا بد من ابداء ملاحظتين . اولاهما متعلقة بالترجمة ، ذلك انني
اخترت لفظة « هتاف » وجعلت منها اسم جمع لا ترجم به جمعا
في اللغة الفرنسية ، فلا يبدو ان يكون هذا اطلاقا بغير وجه

هو أيضا الى ابداء ملاحظات شبيهة بالتي سبقت وهي غير مضررة بموضوعنا .

واننا لنريد أن نرى عبارات طوعية من الواقع ، أملتها ، هكذا الطبيعة .

الا أننا نستطيع — بالنسبة لكثير منها — أن ننفي وجود علاقة بين المدلول والدال .

يكفي، في هذا المضمار ، أن نقارن بين لغتين لنتبين كم تختلف هذه العبارات فيما بينها (فاللفظة الفرنسية die ، تقابل اللفظة الألمانية au)

واننا لنعرف ، من جهة أخرى أن كثيرا من الهتاف بدأ بكلمات لها مدلولها المحدد (Diable! mordieu, mord dieu)

وختاما أن للاونوماطويات وللهتاف أهمية متوسطة ، وان أصلها الرمزي لمشكوك فيه .

٢٠٢٠٧ . معالجة القساء لهذه الفكرة

أعتقد أن أحسن من عالج هذه الفكرة من القدماء هو اللغوي ابن جني ، قال (٢٠٧) » اعلم أن هذا موضع شريف لطيف . وقد نبه عليه الخليل وسيبويه ، وتلقته الجماعة بالقبول والاعتراف بصحته .

قرائي . ثانيتهما ، كثير من اللغويين غير متفقين مع رأي F. de S.

فيما يتعلق بالهتاف ويرون أنه فعلا اصطلاحى وان كان غير معمل . وأضاف على ذلك Vendryes و Warkernagal

ان الهتاف هو خارج النظام اللغوي ، ومن هنا اعتقد البعض انه يصعب في بعض الاحيان كتابته .

٢٠٧ — ابن جني . الخصائص ، الجزء الثاني صفحة ١٥٢

قال الخليل : كأنهم توهّموا في صوت الجندب استطالة
فقالوا : صر ، وتوهّموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا : صرصر •
وقال سيويه (٢٠٨) في المصادر التي جاءت على الفعلان : أنها
تأتي للاضطراب والحركة نحو النقران (٢٠٩) ، والغليان ، والغثيان •
فقابلوا (٢١٠) بتوالي حركات المثال توالي حركات الافعال •
ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حداه
ومنهاج ما مثلاه ، وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي
للتكرير ، نحو الزعزعة ، والقلقلة ، والململة ، والققعقة ،
و (الصعصعة) (٢١١) ، والجرجرة ، والقرقرة • ووجدت أيضا (الفعلى)
في المصادر والصفات فانما تأتي للسرعة ، نحو البشكى ، والجمزى ،
والولقى ، قال رؤبة :

أو بشكى وحد الظليم النز (٢١٢)

وقال الهذلي (٢١٣)

كأني ورحلي اذا هجرت على جمزى جازيء بالرمال
أوا صحم حام حراميزه حزاية حيدى بالدحال (١١٤)

-
- ٢٠٨ - انظر الكتاب ، الجزء الثاني ، صفحة ٢١٨
٢٠٩ - يقال نقر الظبي : وثب سعدا •
٢١٠ - اذا رجعنا الى الكتاب الجزء الثاني ، صفحة ٢١٨ لاحظنا ان
ما كتبه هنا ابن جنى هو من كلامه
٢١١ - التحريك والقلقلة •
٢١٢ - يقال ظليم نز : لا يستقر في مكان •
٢١٣ - هو أمية بن أبي عائد كما في اللسان في جمز ، وانظر الهذليين
١٧٦/٢٠ •
٢١٤ - يريد بالحمزى : حمار وحش ، وغازى : يستغنى بالرطب عن

فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر - أعني باب القلقة - والمثال الذي توالى حركاته للأفعال التي توالى الحركات فيها • ومن ذلك - وهو أصنع منه - أنهم جعلوا (استفعل) في كثير من الأمر للطلب، نحو استسقى، واستعظم، واستوهب، واستمنح، واستقدم عمرا، واستصرخ جعفرا • فرتبت في هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال • وتفسير ذلك أن الأفعال المحدث عنها أنها وقعت عن غير طلب إنما تفجأ بحروفها الأصول، أو ما ضارع بالصنعة الأصول (٢١٥)

ومن ذلك أنهم جعلوا تكرار العين في المثال دليلا على تكرار الفعل، فقالوا: كسّر وقطّع، وفتح، وغلّق • وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلا المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من الفعل واللام، وذلك لأنها واسطة لهما، ومكنوفة بهما، فصارا كأنهما سياج لها، ومبذولان للعوارض دونها •

ولذلك تجد الإعلال بالحذف فيهما دونها • فأما حذف الفاء ففي المصادر من باب وعد، نحو العِدّة، والزينة، والطِيدة (٢١٦)، والتيدة، والهبة، والإابة • وأما اللام فنحو اليد، والدم، والقسم، والاب، والاخ، والسنة، والمائة، والفئة وقلما تجد الحذف في العين (٢١٧) •

الماء، والاصحاح من الصحمة وهي سواد الى صفرة • ويريد به حمار وحش، وجراميزه: جسده ونفسه، يحميها من الصائد، حزابية، غليظ • حيدي يحيد من سرعته • والدحال: جمع الدحل، وهو هوة ضيقة الاعلى واسعة الاسفل •

٢١٥ - يريد بالمثال البناء •

٢١٦ - والطدة من وطد والصدّة من وصد يقال وطد الشيء ووصد: ثبت

٢١٧ - من ذلك السه وأصله الستة ومذ وأصله منذ •

لقد تعرض علماء اللغة العربية قديما لهذه القضية في كثير من موضوعات بحوثهم ، لا سيما فيما يتعلق بالنظم والمنظوم في القرآن الكريم وفي أبواب عديدة أخرى (٢١٨) .

وأول من أثار انتباه الناس في أوروبا ، بشكل علمي الى هذه الصفة الخطية للغة العالم اللغوي Saussure الذي قال في دروسه :

« ان الدال وهو من طبيعة سمعية يجري في الزمن وحده وله الطبائع التي يستمدّها من الزمن » .

أولا : يمثل امتدادا .

ثانيا : وان هذا الامتداد ليقاس ببعد واحد . انه خط

يعد هذا مبدأ بديها الا أن التصريح به قد أهمل دائما ، لربما لانه ظهر أنه بسيط مع أنه أساسي وتنتأجه لا تحصى كل آلية اللغة متوقعة عليه .

فبينما يمكن أن يقدم الدالون المرثيون (الاشارات البحرية) وغيرها مواضيع معقدة في نفس الوقت على أبعاد كثيرة ، لا يتوفر الدالون الاكوستيكيون الا على خط الزمن . لذا نرى عناصرها تتقدم الواحدة بعد الاخرى ، انها تكون سلسلة .

تظهر هذه الصفة بسجرد ما يقع تمثيل الدالين بالكتابة وبمجرد ما يعوض الخط الفضائي للعلامات المكتوبة بالتتابع في الزمن « (٢١٩) .

٢١٨ - سأعرض لهذه النقطة بتفصيل في جزء آخر لاحق بحول الله .

٢١٩ - دروس في علم اللغة العام ، صفحة ١٠٣

فاذا ما أخذنا الصوتات (٢٢٠) /ت/،/ب/،/ع/ استطعنا أن نكون منها «تعب» أو «تبع» أو «بعت» أو «عبت» الخ ولكل واحد من هذه الدالين (٢٢١) دلالة معينة أوحى بها الترتيب الخطي للصوتات. يتضح اذن من هذا أن الترتيب النسقي للصوتات داخل الدال له الدور الخطير في تحديد دلالة الالفاظ .

وحيثما أقول « اعتدى الاسد على الرجل » يكون له معنى غير المعنى الذي يوحى به المقطع « اعتدى الرجل على الاسد » لهذه الصفة الخطية التي تنفرد بها اللغة .

٢٠٢٠٩ الدال اللغوي منفرد بالصفة الحدية

يتكون البلاغ من جهة من وحدات موحية مختلفة بعضها عن بعض اذا ما اعتبرنا البلاغ على مستوى التقطيع الاول بمعنى انه يستعمل على وحدات دالة يعاكس بعضها البعض دون ما تدرّج كما يتكون ، من جهة أخرى ، من وحدات مميزة مختلفة بعضها عن بعض ، لا توحى بمعنى اذا ما اعتبرنا البلاغ على مستوى التقطيع وعلى هذا نستطيع أن نقول : ان مفهوم بلاغ ذي دلالة بين بين غير مفيد على الاطلاق .

اذا سمعت أحدا يقول مثلا : « جاء رجل » فلا يتصور أن أفهم « جاء رجل » وسأظل أفهم هذا الفهم ولو أقال القائل الهزة كثيرا

٢٢٠ - اقابل Phonème بصوته بضم الصاد لان فيها قدرا من الاصوات والضم في العربية في مثل هذه الاوزان يدل على «القدر» والفتح على «الوحدة» لذا ساخصص في الاجزاء القادمة للمصطلح .
« صوته » بالفتح .

٢٢١ - اجمع مصطلح الدال (انظر الحاشية رقم ١٨٣) جمعا مذكرا
سالما لتفادي اللبس .

نحو العين الى أن يقلبها قلبا تاما عينا ، ذلك انه لا يمكن أن تكون الصوتة بين بين فلا هي عين ولا هي همزة بل لا بد أن تكون الهمزة فقط أو العين لا غير .

١٠ ٢٠٢ الصفة المزجية للغة

سندرس هذه الصفة بتفصيل عندما تتعرض ، في جزء لاحق ان شاء الله ، الى الثنائية : سليقة/ استعمال ، أو كفاءة / قياس ، أو لغة/ كلام . لكننا نستطيع أن نذكر من الآن ، واعتمادا على النتائج التي وصل اليها Katz و Fodor اللذان يريان أن على البحث اللغوي أن يعبر عن المظهر الخلاق للحديث وهما يعنيان بذلك تلك المعلومات التي تسمح للمخاطب أن يستعمل ويفهم أية جملة في لغته ويعي حتى تلك التي لم يسبق له أن سمعها في حياته كما أن دور هذا البحث يمثل أيضا في وصف الكفاءة (السليقة) للمخاطب . بمعنى أننا ، حتى اذا كنا لا تتوفر على أجزاء من الاستعمال وجب علينا ، انطلاقا من مجموعة هذه الأنشطة الاختبارية المعروضة علينا ، بشكل عشوائي أن نعلن عن القواعد التحتية التي تتحكم فيها . وبهذا تتمكن من تحديد شكل كفاءة من نوع الكفاءة «الدلالية» التي تختلف طبعا عن الكفاءة التي أعلن عنها Chomsky

فلم يبق الغرض اذن من هذا البحث الاعلان عن الكيفية التي بها « نتج » الجمل بقدر ما صار البلوغ الى الكيفية التي بها « تؤول » الجمل .

وحتى اذا كان المؤلفون يحاولون ، جادين ، أن يعددوا هذه الوظيفة في نطاق « محايد » فانهم يركنون الى حصرها في قضية « الفهم » لا غير .

بهذا يتوصلون الى تحديد الصفة المزجية للغة . وهي الصفة
التي تستطيع وحدها أن تبين لنا أن مخاطبا ما يفهم جملا تتجدد
باستمرار .

٠٢٠٢٠١١ تغيرية الدليل

لا بد اذا أردنا أن يكون تعريفنا للغة شاملا من تحديد صفة أخرى
يتصف بها الدليل (le signe) ، تلك الصفة هي « التغيرية »
(Muabilité)

أما العرب فقد تحدثوا قديما عن هذه الصفة بأشكال مختلفة
الى أن أصبحت متشعبة ، لا سيما في قسم الصرف وفي معرض تحليلهم
لأساليب العرب .

أما من المحدثين فأعتقد أن أول من تصدى لهذه القضية بوضوح
هو العالم السويسري De Saussure الذي قال عنها : « للزمن الذي
يضمن استمرارية اللغة أثر آخر هو في الظاهر مناقض للاول ، انه
« التبديل » الذي يلحق ، ان عاجلا أو آجلا الدليل اللغوي ، بحيث
يمكن أن نتحدث ، في نفس الوقت ، عن « لا تغيرية » الدليل وعن
«تغيرية» الدليل .

ان الواقعتين متضامتان ، فالدليل في حالة «تبديل» لانه مستمر،
ان الذي يغلب في كل تبديل هو ثبات المادة ، وليس الخروج عن
الماضي الانسيا ، لذا يرتكز مبدأ التبديل على مبدأ الاستمرار .

ياخذ التبديل في الزمن أشكالا مختلفة ، وكل شكل من هذه
الأشكال يكون مادة لفصل مهم في اللسانيات .

لكنّ الأهم الذي يمكن استعراضه في هذا الموضوع ، دون أن
ندخل في التفاصيل ، هو ألا نخطئ في المعنى الذي منطوقه لـ

« التبديل » • قد يظن أن هذا يتعلق على الخصوص بالتغيرات الصوتية التي تمس الدال أو بالتغيرات المعنوية التي تلحق المفهوم المدلول •

ستكون هذه الرؤية غير تامة بالمره ، كيفما كانت عوامل التغيرات، منعزلة أو مختلطة فانها تؤدي دوما الى تحويل العلاقة الرابطة بين الدال والمدلول (٢٢٢) •

ولست في حاجة الى اعطاء الامثلة عن «التغيرية» • فكتب اللغة عندنا تزخر بالتفاصيل عن هذا المصطلح • ويكفي لمن اراد أن يكون فكرة عن هذا الامر أن يلقي نظرة على الكتاب لسيبويه أو على الخصائص لابن جني أو على غيرهما ليجد ضالته ، من أفكار هذه الفقرات الكثيرة يتكون تعريفنا للغة •

المصطلحات الواردة في هذا الجزء

1 — Anthropologie n.f	٨٢	أنثروبولوجية
2 — Axe des successivités n.m	٦٢	محور المتلاحقات
3 — Axe des simultanités n.m	٦٠	محور الحدث الآن
4 — Contrainte sociale n.f.	٦٧	ضغط جماعي
5 — Conscience collective n.f	٦٦	وعي جماعي
6 — Diachronie n.f	٦	متحرك

هكذا عربتها ولكنني قابلتها في الجزء الثالث من هذه السلسلة ب :

« حركية »

7 — Diachronique adj	٩٥	حركية
8 — Débit n.f	١١١	نطوق
9 — ding dong Theory	٥٠	
10 — dynamique adj	٨٤	حركة (آية)
11 — Enoncé n.m.		عبارة

كنت عربتها في الجزء الثالث من هذه السلسلة ب « قول » انظر ج ٢ ص ٣٢

12 — Erzengue	٤٦	توليد (مصطلح الماني)
13 — Evolution n.f.	٨٤	حركية
14 — Formaliste n.m.	٨١	صورية
15 — Gottek	٥٤	علوم الحنجرة (لفظ الماني)
16 — Historique adj.	٨٤	حركية
17 — Humanisme n.m.	٦٥	انسية
18 — Infrastructure n.f.	٧٨	بنية قاعدية
18 — Innere kraft	٧١	قوة باطنية (لفظ الماني)
19 — Innere sprachform	٤٥	صورة باطنية (لفظ الماني)
20 — Junggrammalk	٦٤	نحاة شباب (لفظ الماني)
12 — Linguistique statique n.f.	٩٤	
22 — Néo-grammairiens n.m.plu.	٦٤	نحاة جدد

22—Pictographique adj.	١٠٨	كتابة نصورية
23—Phonème n.m.	١١٨	صوته
24—Pooh-pooh Theory 46	٥٠	
25—Principe du déterminisme linguistique	٢٥	اشتراط اللغة
26—äcine n.f. (Nurzel, Root, Raiz)	٦٥	جذر
27—Référent n.m.	٩١	مدلول عليه
سأقبله في العدد السادس من هذه السلسلة بـ « مرجع »		
28—Représenetation(s) n.f. piu Collective(s)	٦٨	تصورات جماعية
29—Retrospect n.m. et adj	٨١	
30—Rythme n.m.	١١١	ايقاع
31—Sémiologie n.f.	٢٥	علم الاشارة
32—Signe n.m.	١١٢	دليل
33—Signifiant n.m.	٩١	دال
34—Signification n.f.	٩١	دلالة
35—Signifié n.m.	٩١	مدلول
36—Sonorité n.f.	١٠٧	رنين
37—Structure n.f.	٧١	بنية
38—Synchronique adj	٨٤	سكونية
39—Système n.m.	٧١	نظام
40—Ursprache	٨-٥٢	لغة أصلية (لفظ الماني)
41—Yoheho Theory	٥٠	

الفهرست

- ٥ مقدمة الطبعة الاولى
٩ مقدمة الطبعة الثانية

الفصل الاول

- ١ - في العصور الجاهلية والعصور الاسلامية المتقدمة
١٣ ١٠١ - لفظة لغة ولسان
١٥ ٢٠١٠١ - نصوص لغوية شاهدة على ذلك
١٧ ٣٠١٠١ - وشواهد من القرآن
٢٠ ٤٠١٠١ - تحليل علمي حديث لهذه اللفظة من عالم لغوي قديم
٢١ ٦٠١٠١ - عود الى الشاهد القرآني
٢٢ ٢٠١ - لفظة « لغة » و « لهجة »
٢٦ ١٠٢٠١ - أماكن وردت فيها لفظة « لهجة » مكان لغة في كتاب
سيبويه
٢٨ ٢٠٢٠١ - شهادة أخرى من لسانين معاصرين لسيبويه
٣١ ٣٠٢٠١ - نص قديم يوضح الفكرة السابقة
٣٤ ٤٠٢٠١ - استمرار استعمالهم « لغة » مكان « لهجة » زمنًا طويلاً
٣٨ ٥٠٢٠١ - جد اللغة في هذه العصور التي تمنا

الفصل الثاني

- ٤١ ٢ - في العصور الجاهلية
٤٣ ٢٠١ - تعاريف غيرنا
٤٣ ١٠٢٠١ - التعريف الاول
٤٦ ٣٠٢٠١ - الملاحظة الاولى
٤٦ ٤٠٢٠١ - الملاحظة الثانية
٤٨ ٥٠٢٠١ - التعريف الثاني
٥١ ٦٠٢٠١ - وقفة وثيقة الصلة بهذه التعاريف
٥٣ ٧٠٢٠١ - تعقيب على بعض ما مر
٥٧ ٨٠٢٠١ - التعريف الثالث
٥٩ ٩٠٢٠١ - ملحوظة على بعض ما جاء في التعريف الثالث
٦٣ ١٠ ٠٢٠١ - تعاريف التيار الثالث
٦٦ ١١٠٢٠١ - تعاريف ظهرت بفضل التيار الثالث
٧٠ ١٢٠٢٠١ - التعريف الرابع
٧٠ ١٣٠٢٠١ - التعريف الخامس
٧٢ ١٤٠٢٠١ - الاستنتاج الاول
٧٢ ١٥٠٢٠١ - الاستنتاج الثاني
٧٦ ١٦٠٢٠١ - الاستنتاج الثالث
٧٨ ١٧٠٢٠١ - خلاصة ما استتجنناه
٧٩ ١٨٠٢٠١ - عود الى صاحب التعريف الخامس
٨٠ ١٩٠٢٠١ - التعريف السادس
٨٣ ٢٠ ٠٢٠١ - التعريف السابع

- ٢١٠٢٠١ — كيف يثنى De Soussure الفرق بين تزامنية
٨٩ ووصفية (سكونية وحركية)
- ٢٠٢ — تعريفنا
٩٦
- ٢٠٢٠١ — تمهيد
٩٦
- ٢٠٢٠٢ — تحديد مجال التعريف
٩٨
- ٢٠٢٠٣ — الصفة النوعية للغات الطبيعية للانسان
١٠٩
- ٢٠٢٠٤ — اللغة ليست للتبليغ والتخاطب فقط
١١٠
- ٢٠٢٠٥ — اللغة لا تنفرد وحدها باستعمال الاشارات التحكيمية
١١٠
- ٢٠٢٠٦ — فوائد حول الموضوع
١١١
- ٢٠٢٠٧ — معالجة القدماء لهذه الفكرة
١١٤
- ٢٠٢٠٨ — اللغة منفردة بالصفة الخطية
١١٧
- ٢٠٢٠٩ — الدال اللغوي منفرد بالصفة الحدية
١١٨
- ٢٠٢٠١٠ — الصفة المزجية للغة
١١٩
- ٢٠٢٠١١ — تغيرية الدليل
١٢٠

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

١٩٨٦

مشروع النشر المشترك



دار النشر المغربية

دار الشؤون الثقافية العامة (أفاق عربية) - بغداد

السعر: دينار وربع